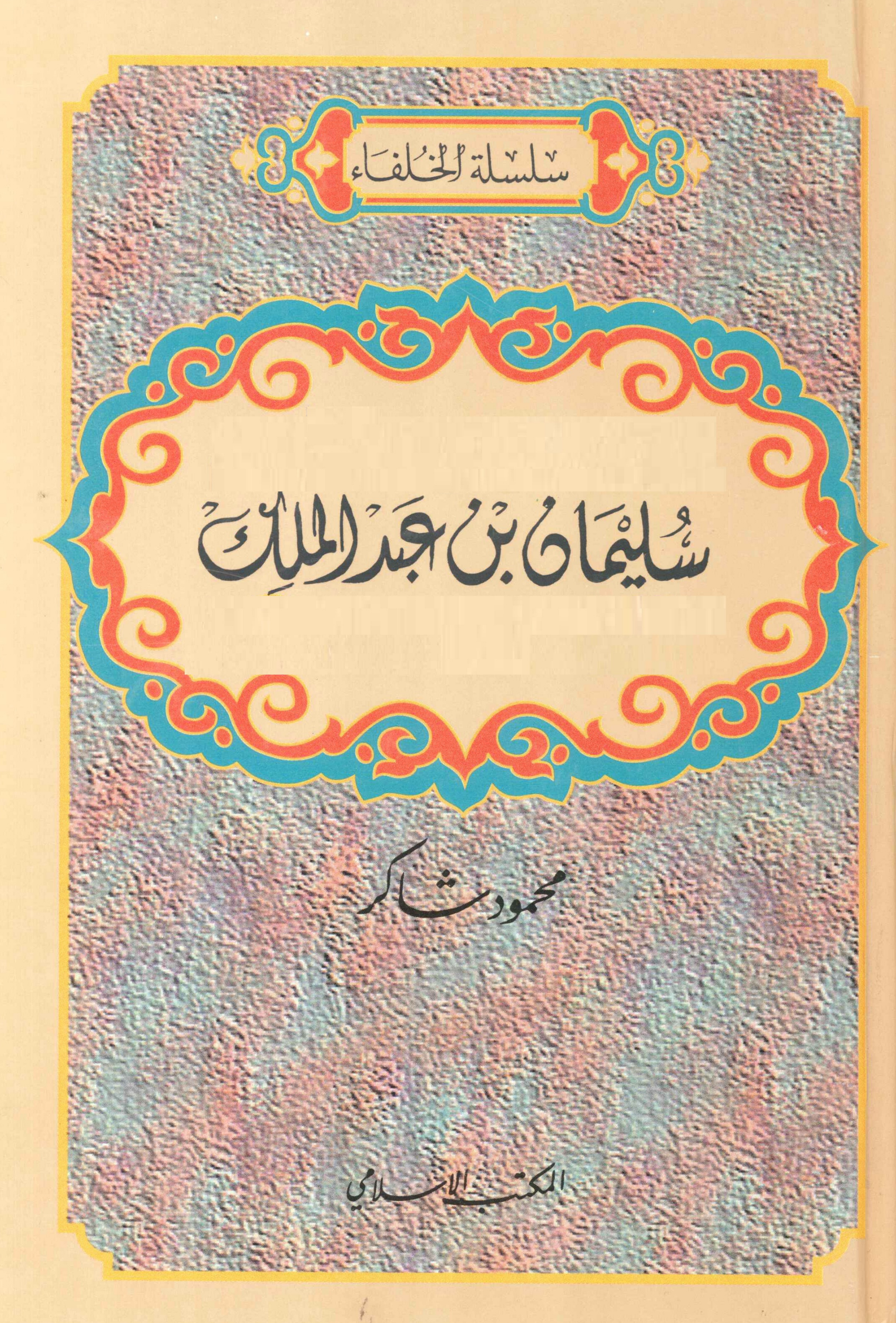
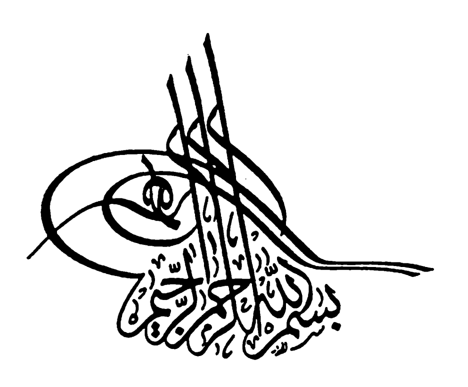


سلسلة الخلفاء
سليمان بن عبد الملك
محمود شاكر
المكتب الإسلامي

سُلَيْمَان بن عبد الملِك


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة الخلفاء

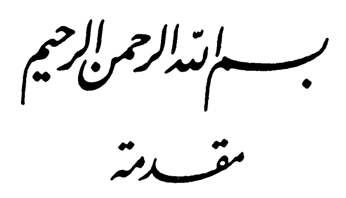
# سليمان بن عبد الملك

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥



# مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير عباد الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين وآخر المرسلين وعلى إخوانه رسل الله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، *أما بعد* :

فإن سليمان بن عبد الملك بن مروان خليفة من خلفاء المسلمين لم يكن قمةً من قممهم، كما لم يكن على الدرجات الأولى من سفوحهم الدنيا.

كان سليمان محباً للدين وأهله، متطلّعاً إلى الغزو، ساعياً للجهاد، راغباً في العمران، يعمل للعدل، ويبذل جهده للحقّ، وإن لم يُحالفه الاجتهاد أحياناً إلا أنه لم يتعمّد مجانبة النَّصَف، لم تكن فيه خِلّة يمكن أن يتّخذها العدوّ ثغرةً ينفذ منها لينفث سمومه ضد الإسلام، ويبثّ أحقاده ضدّ المسلمين.

إن أعداء الإسلام لا يستطيعون توجيه سهامهم

المسمومة ضدّ الإسلام مباشرةً إذ أنها تقع على درعٍ فولاذيٍ قويٍّ فترتدّ عليهم فتُؤذي من صوّبها وتُؤثّر على من دفعها، ذلك أن السهم الذي يُوجّه للإسلام مباشرةً يجعل المسلمين يتماسكون فيجتمعون إن كانت هناك فرقة، ويلتقون إن كان هناك خلاف، فيتوحّد الصف، وتجتمع الكلمة، وترتفع تكبيرات الجهاد، يهبّون في سبيل الله فينصرهم الله، ومن ينصره الله فلا غالب له. وتكون الهزيمة المنكرة، والعاقبة الوخيمة على الأعداء، أعداء الله وأعداء عباده.

ويعرف الخصوم هذه المعادلة، لقد عرفوها خلال تاريخهم الطويل، ومن خلال لقاءاتهم مع المسلمين سواء أكان ذلك في عصر قوة المسلمين أم كان أيام ضعفهم عندما سيطر على أمصارهم هؤلاء الخصوم حملة السهام. فسلاح المسلمين هو الجهاد، وهو سلاح لا يفنى مهما تقادم العهد، ولا يبلى مهما خاض من معارك، ومهما قارع من خطوبٍ، سلاح ماضٍ بأيدي من ينصر الله.

ما أن يعلو التكبير حتى تتحرّك القلوب، ويُزهد في الدنيا، ويُرغب في الشهادة، وينطلق الرجال يطلبون الموت فتوهب لهم الحياة، الحياة بتمكين الله لهم في

الأرض وإما الحياة في جنّات الله وذلك هو الفوز المبين.

عرف الخصوم هذا وما زالوا يعرفونه لذلك فهم لا يُوجّهون السهام إلى الإسلام مباشرةً، ولا ينتقدونه بل يوجهون أسلحتهم كلها على من يُمثّل الإسلام، وعلى من يُمثّل المسلمين فإن أصابت أسلحتهم هدفها فقد حققوا أمانيهم، ورووا أحقادهم، ويا لها من أحقادٍ لا تُروى. وإن لم تُصِبْ فعلى ممثلٍ آخر، وكل خليفةٍ يُمثّل الإسلام نظاماً، ويُمثّل المسلمين اختياراً.

وكل خليفةٍ وُجّهت إليه السهام المسمومة، وأخذ نصيبه من الضربات، فإن كان في حياته ثغرات ولج منها الأعداء، ونفثوا سمومهم من خلالها، فإن كانت واسعةً لعب السمّ دوره، وإن كانت ضيقةً حاولوا توسعتها فإن استطاعوا فذاك ما يبغون، وإن عجزوا افتروا الكذب وأطلقوا الألسن، وكل بني آدم خطّاء، وكل مخلوقٍ باستثناء الأنبياء لهم سلبيات أو في حياتهم ثغرات، وهي مجال الخصم، وساحة حركته.

وسليمان بن عبد الملك أحد هؤلاء الخلفاء لم يجد الأعداء ثغرةً واسعةً ينفثون منها سمومهم، ويلجون

منها لتوجيه السهام على من يُمثّل الإسلام، ولكن وجدوا ثقباً فجعلوا منه بوابةً، وجدوا عنده رغبةً في الطعام فجعلوا منه غولاً عجيباً يأكل طعام فرقةٍ من العسكر، ويتناول فاكهتها في وجبةٍ واحدةٍ، وجلسةٍ واحدةٍ. وما كانت هذه المبالغة إلا خيراً ليُعرف الافتراء، وتوضع اليد على العدوّ، ويتوضّح هدف الخصم.

ولاحظ الأعداء موت ثلاثةٍ من كبار القادة المسلمين في عهده، وفي وقتٍ متقاربٍ يقع في حدود السنة الواحدة أحدهما قتله الحقد، والثاني قتله الثأر، والثالث قضت عليه السنون، ولكل أجلٍ كتاب. فجعلوا موتهم على يده، وروّجوا ذلك، وحملت عليه العامة لما لأولئك القادة من أثرٍ في تاريخنا، وهم: قتيبة بن مسلم الباهليّ، ومحمد بن القاسم الثقفيّ، وموسى بن نصير اللخميّ.

وإذا كره الناس خلفاءهم تسرّبت الكراهية إلى التاريخ، وربما امتدّت إلى أبعد من ذلك، فنرجو من الله اللطف، وهبة الوعي، وسعة البصيرة لمعرفة الحقيقة.

وسنقدم دراسةً عن الخليفة سليمان بن عبد الملك

ونتوخّى فيها الحقيقة والصدق حسب إمكاناتنا بما توصلنا إليه، وما نؤمن به أنه الحق، فنرجو أن يُلهمنا الله ذلك فمنه نستمدّ العون، ونطلب التوفيق فهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**الرياض: غرة جمادى الأولى ١٤١٩هـ.**

**٢٣ آب ١٩٩٨م.**

محمود شاكر

# الفصل الأول

## نشأة سليمان

ولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة سنة أربع وخمسين فهو أصغر من أخيه الوليد بست سنواتٍ، ونشأ في بادية بني جذيلة فعرف اللغة الصحيحة فكان فصيحاً.

انتقل مع بني أمية من المدينة إلى دمشق سنة أربعٍ وستين فكان عمره يومذاك عشر سنوات، وترعرع في ظلِّ أبيه الأمير، ثم الخليفة فكان مُرفّهاً، واعتنى أبوه بتربيته كباقي إخوته، فقرأ القرآن، وحفظ الشعر، وساعدته لغته وفصاحته فتفوّق على إخوته.

كان سليمان بخلاف الوليد وعلى الضدّ منه في الفصاحة والبلاغة. وقد كان الوليد أفسد في أرضٍ لعبد الله بن يزيد بن معاوية فشكا ذلك أخوه خالد بن يزيد إلى عبد الملك، فقال له عبد الملك:
﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ

أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[1]. فقال له خالد: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[2]. فقال عبد الملك: أفي عبد الله تتكلم؟ ويلك وبالأمس دخل إليّ يعثر في لسانه ويلحن في كلامه. قال: أفعلى الوليد تعوّل؟ قال: إن كان الوليد يلحن فسليمان أخوه، قال خالد: وإن كان عبد الله لحّاناً فخالد أخوه. فقال الوليد: أتتكلم ولست في العير ولا النفير. فقال خالد: ألم تسمع ما يقول أمير المؤمنين: أنا والله ابن العير والنفير، ولكن لو قلت: حبيلات وغنيمات والطائف، ورحم الله عثمان قلنا: صدقت - أراد بذلك أن رسول الله، ﷺ، نفى الحكم بن أبي العاص إلى الطائف فصار راعياً حتى ردّه عثمان.

جمع عبد الملك بنيه: الوليد، وسليمان، ومسلمة فاستقرأهم القرآن، فأجادوا القراءة ثم استنشدهم الشعر فأجادوا غير أنهم لم يُكملوا أو يُحكِموا شعر الأعشى، فلامهم على ذلك، ثم قال: لينشدني كل رجلٍ منكم أرقّ بيتٍ قالته العرب، ولا يفحش، هات يا وليد، فقال الوليد:

---

(١) سورة النمل: الآية ٣٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٦.

ما مركبٌ وركوب الخيل يعجبني
كمركبٍ بين دملوجٍ وخلخال

فقال عبد الملك: وهل يكون من الشعر أرقّ من هذا؟ هات يا سليمان، فقال:

حبذا رجعها يديها إليها
في يدي درعها تحلّ الإزارا

فقال: لم تُصِبْ، هات يا مسلمة، فأنشده قول امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني
بسهميك في أعشار قلبٍ مقتّل

فقال: كذب امرؤ القيس ولم يُصِب، إذا ذرفت عيناها بالوجد فما بقي إلا اللقاء، وإنما ينبغي للعاشق ينتضي منها الجفاء، ويكسوها المودة، ثم قال: أنا مُؤجّلكم في هذا البيت ثلاثة أيام، فمن أتاني به فله حكمه، أي مهما طلب أعطيته، فنهضوا من عنده، فبينما سليمان في موكبٍ إذ هو بأعرابيٍ يسوق إبله، وهو يقول:

ولو ضربوا بالسيف رأسي في مودتها
لمال يهوي سريعاً نحوها راسي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل، ثم جاء إلى أبيه فقال: قد جئتك بما سألت، فقال: هات، فأنشده البيت، فقال: أحسنت، وأنى لك هذا؟ فأخبره خبر الأعرابي، فقال: سل حاجتك، ولا تنسَ صاحبك. فقال: يا أمير المؤمنين، إنك عهدت بالأمر من بعدك للوليد، وإني أحبّ أن أكون ولي العهد من بعده، فأجابه إلى ذلك، وبعثه للحج في سنة إحدى وثمانين، وأطلق له مائة ألف درهم، فأعطاها سليمان لذلك الأعرابي الذي قال ذلك البيت من الشعر. فلما مات أبوه سنة ستٍ وثمانين، وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد كان بين يديه كالوزير والمشير، وكان هو المستحثّ على عمارة جامع دمشق[1].

وإلى جانب اهتمام عبد الملك بعلم أبنائه اهتم كذلك بحبهم الغزو، وتأهيلهم للقيادة، وتشجيعهم العمران والإنتاج، فكانوا يُشاركون في عمليات الفتح، وغزو الأعداء، ويحجّون بالناس، ويقودون الجيوش، ويعملون بالعمران، ويحيون الأرض الموات كي يستفيدوا من إنتاجها. ونستطيع أن نقول: إن بني أمية قد سعوا

---

(١) البداية والنهاية.

كثيراً لإحياء الأرض الميتة التي قد تكون على هامش الصحراء مثل: يزيد بن معاوية الذي أحيى أرض (حُوارين) منطقة القريتين اليوم، وعبد الملك الذي أحيى الأرض التي حول قصر عمرة الذي أقامه جنوب شرقي عمّان، وهشام بن عبد الملك الذي أحيى منطقة الرصافة جنوب غربي الرقة. وقد تكون الأرض المحياة بين أراضي خصبةٍ منتجةٍ غير أن عدم خصوبة تربة منطقةٍ، أو قلّة الماء قد تجعل منها بقعةً مجدبةً تحتاج إلى جهدٍ من حراثةٍ، ونقل التراب، وجرّ المياه، وهذا ما فعله سليمان بن عبد الملك في منطقة الرملة في جنوبي الشام.

نشأ سليمان محباً للدين وأهله، فولّى الأخيار، ولاحق الظالمين وأعوانهم في مختلف الأمصار.

ونشأ محباً للغزو فسير أخاه مسلمة لفتح القسطنطينية، وبعث أبناءه على رأس جيوش الفتح.

ونشأ محباً للعمران وقد أشار على أخيه الوليد في عمارة جامع بني أمية بدمشق.

ونشأ محباً للإنتاج فأحيى الأرض الموات، وعاش بالقرب منها يرى النمو ويسعد بالإنتاج.

تزوّج سليمان بن عبد الملك عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، فأنجبت له: يحيى وعبيد الله.

وتزوج أم يزيد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فأنجبت له: يزيد والقاسم.

وتزوج ابنة عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية فأنجبت له: عبد الواحد.

وكان له من الأولاد الذكور أربعة عشر ولداً، منهم:

١ ـ أيوب: وكان أديباً عفيفاً. بايعه ولياً لعهده سنة ثمانٍ وتسعين غير أنه قد توفي في حياة أبيه. وأمه أم ولد.

٢ ـ داود: وأمه أم ولد، وكان يقود الجيوش، وتوفي أبوه، وهو محاصر لمدينة القسطنطينية.

٣ ـ الحارث: وأمه أم ولد.

٤ ـ سعيد: وأمه أم ولد.

٥ ـ إبراهيم: وأمه أم ولد.

٦ ـ عبد الواحد: وأمه ابنة عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية وقد روى قصة

الإفك عن أبيه عن جده عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها.

٧ ـ يزيد: وأمه أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

٨ ـ عبد الرحمن: وأمه أم ولد.

٩ ـ عمر: وأمه أم ولد.

١٠ ـ محمد: وأمه أم ولد.

١١ ـ القاسم: وأمه أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

١٢ ـ يحيى: وأمه عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

١٣ ـ عبيد الله: وأمه عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

# الفصل الثاني

## خلافة سليمان

بويع لسليمان بن عبد الملك بالخلافة بعد موت أخيه الوليد، يوم مات، وكان يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ستٍّ وتسعين، وكان سليمان بالرملة، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك.

وقد كان الوليد قد عزم قبل موته ـ على خلع أخيه سليمان، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد، وقد كان الحجاج طاوعه على ذلك وأمره به، وكذلك قتيبة بن مسلم، وجماعة، وقد أنشد في ذلك جرير وغيره من الشعراء قصائد، فلم ينتظم ذلك له حتى مات، وانعقدت البيعة لسليمان.

لما توفي الوليد بن عبد الملك كان أخوه سليمان بالرملة، فلما أقبل تلقّاه الأمراء ووجوه الناس، وقيل:

ساروا إليه إلى بيت المقدس، فبايعوه هناك، وعزم على الإقامة بالقدس، وأتته الوفود إلى بيت المقدس، فلم يروا وفادةً هناك، وكان يجلس في قبة في صحن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال، وتجلس أكابر الناس على الكراسي، وتقسم فيهم الأموال، ثم عزم المجيء إلى دمشق، فدخلها، وأكمل عمارة الجامع.

وفي أيامه جُدّدت المقصورة، واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً، وأمر بغزو القسطنطينية عن مشورة موسى بن نصير، وأخيه مسلمة بن عبد الملك.

وكانت داره بدمشق موضع ميضأة جيرون الآن في تلك المساحة جميعها، وبنى داراً كبيرةً مما يلي باب الصغير ـ موضع الدرب المعروف بدرب محرز، وجعلها دار الإمارة، وعمل فيها قبةً صفراء تشبيهاً بالقبة الخضراء.

حجّ بالناس سنة ستٍّ وتسعين أمير المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. وحجّ سنة سبعٍ وتسعين الخليفة نفسه سليمان بن عبد الملك، وفي سنة ثمانٍ وتسعين حج أمير مكة عبد العزيز بن عبد الله بن

خالد بن أسيد، أما سنة تسعٍ وتسعون فكان موسم الحج في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقد حج يومها بالناس أمير المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

## الولايات:

تغيّر الوضع في عهد سليمان بن عبد الملك في أكثر الولايات.

### أ ـ الشام:

هي مركز الحكم لبني أمية، وقاعدة ملكهم، وأهلها السيف الذي بأيديهم يضربون به خصمهم، وينالون به من عدوهم، ويُوجّهونهم إلى من يناوئهم.

### ب ـ المدينة:

عزل سليمان بن عبد الملك عن المدينة عثمان بن حيّان لسبعٍ بقين من شهر رمضان سنة ستٍ وتسعين، وذلك بعدَ أن تولّى إمرتها ثلاث سنواتٍ، وعيّن مكانه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الذي كان قد تولّى القضاء أيام إمرة عمرة بن عبد العزيز على المدينة.

كان أبو بكر بن محمد قد استأذن الأمير عثمان بن حيان أن ينام في غدٍ، ولا يجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، فأذن له. وكان

أيوب بن سلمة المخزومي عنده، وكان الذي بين أيوب بن سلمة وبين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سيئاً، فقال أيوب لعثمان: ألم تر إلى ما يقول هذا؟ إنما هذا منه رئاء، فقال عثمان: قد رأيت ذلك، ولست لأبي إن أرسلت إليه غدوةً ولم أجده جالساً لأجلدنه مائةً، ولأحلقنّ رأسه ولحيته.

قال أيوب: فجاءني أمر أحبه، فعجلت من السَّحَر، فإذا شمعة في الدار، فقلت: عَجِل المُرّيّ، فإذا رسول سليمان قد قدم على أبي بكر بتأميره، وعزلِ عثمان وَحَدِّهِ.

قال أيوب: فدخلت دار الإمارة، فإذا ابن حيّان جالس، وإذا بأبي بكرٍ على كرسيٍّ يقول للحداد: اضرب في رِجل هذا الحديد، ونظر إلى عثمان فقال:

آبوا على أدبارهم كُشُفاً
والأمر يحدث بعده الأمر

**جـ - مكة المكرمة:**

عزل سليمان بن عبد الملك عن مكة خالد بن عبد الله القسري وولاّها طلحة بن داود الحضرمي، ولما صدر سليمان من الحج سنة سبع وتسعين عزل طلحة بن داود عن مكة، وولّى عبد العزيز بن عبد الله بن

خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبقي في إمرته إلى خلافة عمر بن عبد العزيز.

**د ـ البصرة:**

كان الوليد قد ولّى العراقين يزيد بن أبي كبشة[١] بعد موت الحجاج، فلما تولى سليمان بن عبد الملك نقله على خراج السند، وجعل مكانه يزيد بن المهلب. كما أن الحجاج قد استخلف كاتبه ومشيره يزيد بن أبي مسلم[٢] على أموال الخراج، فلما جاء سليمان ولّى مكانه صالح بن عبد الرحمن، وأمره أن يقتل آل أبي

---

(١) يزيد بن أبي كبشة: يزيد بن جبريل (أبي كبشة) بن يسار البتلهي (نسبة بيت الآلهة) السكسكي، عُدّ في التابعين، مقدم السكاسك، صاحب شرطة عبد الملك بن مروان، ثم ولي الغزاة، ولّاه الوليد إمرة العراقين بعد وفاة الحجاج، نقله سليمان بن عبد الملك على خراج السند، فمات بعد وصوله إليها بثمانية عشر يوماً سنة ستٍّ وتسعين.

(٢) يزيد بن أبي مسلم (أبو العلاء بن دينار الثقفي)، كان كاتب الحجاج ومشيره، استخلفه بعده على خراج العراق، وأقرّه الوليد، فلما تولّى سليمان، طلب في غُلّ. كان قصيراً دميماً، كبير البطن مشوهاً، سديد العقل. ولّاه يزيد بن عبد الملك على إمرة إفريقية. فثارت عليه الخوارج وفتكوا به لظلمه سنة اثنتين ومائة.

عقيل، ويبسط عليهم العذاب. فقدم صالح بن عبد الرحمن على الخراج ويزيد بن المهلب على الحرب، فبعث يزيد بن المهلب أخاه زياد بن المهلب على عُمان، وقال له: كاتب صالحاً، وإذا كتبت فابدأ باسمه، وأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يُعذّبهم، ويلي عذابهم عبد الملك بن المهلّب[١].

وكان النائب على البصرة سفيان بن عبد الله الكندي. أما عبد الرحمن بن أذينة فكان على القضاء.

**هـ ـ الكوفة:**

هي أحد العراقين، وكان يليها يزيد بن المهلب، فلما انتقل إلى خراسان، كان نائبه عليها حرملة بن عمير اللخمي، ثم عزله، وعين نائباً مكانه هو بشير بن حسّان النهدي.

**و ـ خراسان:**

كان الوليد قد أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز بن الوليد ولي عهده، ودسّ في ذلك إلى القادة والشعراء، فوافقه قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان، والحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراقين وسائر المشرق، وكذلك الشاعر جرير الذي قال:

---

(١) تاريخ الطبري.

إذا قيل أيّ الناس خير خليفةٍ؟
أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
رأوه أحقّ الناس كلّهم بها
وما ظلموا، فبايعوه وسارعوا

وقال جرير أيضاً يحضّ الوليد على بيعة عبد العزيز:

إلى عبد العزيز سمت عيون الر
رعية إذ تحيّرت الرعاء
إليه دعت دواعيه إذا ما
عماد الملك خرّت والسماء
وقال أولو الحكومة من قريشٍ
علينا البيع إن بلغ الغلاء
رأوا عبد العزيز وليّ عهدٍ
وما ظلموا بذاك ولا أساءوا
فماذا تنظرون بها وفيكم
جسور بالعظائم واعتلاء
فَزَحْلِفها بأَزْمَلِها إليه
أمير المؤمنين إذا تشاء
فإن الناس قد مدّوا إليه
أكُفَّهُمُ وقد بَرِحَ الخفاء

ولـو قـد بـايـعـوك ولـيّ عـهـدٍ
لـقـام الـوزن واعـتـدل الـبـنـاء

ثم مات الوليد بن عبد الملك، وقام أخوه سليمان بأمر الخلافة، وكان الحجاج قد مات، وبقي قتيبة فخاف سليمان، وخشي أن يولّي يزيد بن المهلب على خراسان، فكتب قتيبة إلى سليمان كتاباً يهنئه بالخلافة، ويُعَزّيه بالوليد، ويُعلمه بلاءه، وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان. وكتب كتاباً آخر يعلمه فيه فتوحه ونكايته وعِظَم قدره عند ملوك العجم، وهيبته في صدورهم، وعظم صوته فيهم، ويذمّ المهلب وآل المهلب، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنّه. وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجلٍ من باهلةَ وقال له: ادفع إليه هذا الكتاب، فإن كان يزيد بن المهلب حاضراً، فقرأه ثم ألقاه إليه، فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأه وألقاه إلى يزيد فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين.

فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب، فدفع إليه الكتلب، فقرأه، ثم ألقاه إلى

يزيد، فدفع إليه كتاباً آخر فقرأه، ثم رمى به إلى يزيد، فأعطاه الكتاب الثالث، فقرأه فتمعّر لونه، ثم دعا بطينٍ فختمه ثم أمسكه بيده.

وقيل: كان في الكتاب الأول وقيعة في يزيد بن المهلب، وذِكْرُ غدره، وكفره، وقلة شكره، وكان في الثاني ثناء على يزيد، وفي الثالث: لئن لم تقرّني على ما كنت عليه، وتُؤمّنني لأخلعنّك خلع النعل، ولأملأنّها عليك خيلاً ورجالاً.

أمر سليمان برسول قتيبة أن يُنزّل، فحوّل إلى دار الضيافة، فلما أمسى دعا به سليمان، فأعطاه صُرّةً من دنانير، فقال: هذه جائزتك، وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر، وهذا رسولي معك بعهده. فخرج الباهلي، وبعث معه سليمان رجلاً من بني عبد القيس، ثم أحد بني ليث يقال له صعصعة أو مصعب، فلما كان بحلوان تلقّاهم الناس بخلع قتيبة، فرجع العبدي ودفع العهد إلى رسول قتيبة، وقد خلع، واضطرب الأمر، فدفع إليه عهده، فاستشار إخوته، فقالوا: لا يثق بك سليمان بعد هذا.

وجّه صالح بن عبد الرحمن صاحب خراج العراق إلى خراسان توبة بن أبي أسيد العنبري ليطّلع على ما

تحت يد قتيبة فصحبه رجل من بني أسد، فسأله عما خرجا من أجله فكاتمه أمره. قال توبة: فإنا لنسير إذ سنح لنا سانح، فنظر إليّ رفيقي فقال: أراك في أمرٍ جسيمٍ وأنت تكتمني، فمضيت فلما كنت بحلوان تلقّاني الناس بقتل قتيبة.

لما همّ قتيبة بالخلع استشار إخوته، فقال له عبد الرحمن: اقطع بعثاً فوجّه فيه كل من تخافه، ووجّه قوماً إلى مرو، وسِرْ حتى تنزل سمرقند، ثم قل لمن معك: من أحبّ المقام فله المواساة، ومن أراد الانصراف فغير مُسْتَكْرَهٍ ولا متبوعٍ بسوءٍ، فلا يقيم معك إلا مناصح. وقال عبد الله: اخلعه مكانك، وادع الناس إلى خلعه، فليس يختلف عليك رجلان. فأخذ برأي عبد الله، فخلع سليمان، ودعا الناس إلى خلعه، فقال للناس:

إني قد جمعتكم من عين التمر[1]، وفيض البحر[2] فضممت الأخ إلى أخيه، والولد إلى أبيه، وقسمت بينكم فيئكم، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مُكدّرة ولا

---

(١) عين التمر: بلدة داثرة قريبة من مجرى نهر الفرات إلى الغرب من بغداد اليوم.

(٢) فيض البحر: شواطئ بحر العرب على مكران.

مؤخّرة، وقد جرّبتم الولاة قبلي؛ أتاكم أمية[1] فكتب إلى أمير المؤمنين: إن خراج خراسان لا يقوم بمطبخي، ثم جاءكم أبو سعيد[2] فدوّم بكم ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعةٍ أنتم أم في معصيةٍ، لم يَجْبِ فيئاً، ولم ينكأ عدوّاً، ثم جاءكم بنوه بعده، يزيد فحل تبارى النساء إليه، وإنما خليفتكم يزيد بن ثروان هَبَنَّقة القيسيّ[3]. فلم يجبه أحد، فغضب فقال: لا أعزّ الله من نصرتم، والله لو اجتمعتم على عنزٍ ما كسرتم قرنها، يا أهل السافلة - ولا أقول أهل العالية - يا أوباش الصدقة، جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوبٍ. يا معشر بكر بن وائل، يا أهل النفخ والكذب والبخل، بأي يَومَيْكم تفخرون؟ بيوم حربكم أو بيوم سلمكم فوالله لأنا أعزّ منكم. يا أصحاب مسيلمة، يا بني ذميم - ولا أقول تميم - يا أهل الخور والقصف والغدر، كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كيسان. يا أصحاب سجاح، يا معشر عبد القيس القساة.

---

(١) أمية: أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية عامل عبد الملك على خراسان حتى سنة ثمان وسبعين.

(٢) أبو سعيد: المهلب بن أبي صفرة.

(٣) يزيد بن ثروان بن هَبَنّقة القيسي: المضروب به المثل في الحمق.

تبدّلتم بأبر النحل أعنّة الخيل. يا معشر الأزد تبدّلتم بقلوس[1] السفن أعنة الخيل الحُصُن؛ إن هذا لبدعة في الإسلام! والأعراب وما الأعراب لعنة الله على الأعراب، يا كناسة المصرين، جمعتكم من منابت الشيح والقيصوم ومنابت القلقل[2]، تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان حتى إذا جمعتكم كما تجمع قزع[3] الخريف قلتم كيت وكيت، أما والله إني لابن أبيه وأخو أخيه، أما والله لأعصبنّكم عصب السلمة. إن حول الصليان[4] الزمزمة[5]. يا أهل خراسان، هل تدرون من وليّكم؟ وليّكم يزيد بن ثروان بن هبنّقة، كأني بأمير مزجاء، وحَكَمٌ قد جاءكم فغلبكم على فيئكم وأظلالكم. إن هاهنا ناراً ارموها أرم معكم، ارموا غرضكم الأقصى، قد

---

(١) القلوس: جمع قلس، وهو حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما من حبال السفن.

(٢) القلقل: نبات من نبات البادية كالشيح والقيصوم.

(٣) قزع: كل شيء يكون قطعاً متفرقةً.

(٤) الصليان: نبات من أفضل المرعى يحمل للخيول التي تبقى في الحظائر.

(٥) الزمزمة: صوت الخيل عندما ترى الصليان يقدّم لها، كما يطلق على صوت الرهبان أمام الصلبان. يضرب لمن يحوم حول الشيء ولا يظهر مرامه.

استخلف عليكم أبو نافع ذو الوَدَعات. إن الشأم أب مبرور، وإن العراق أب كفور. حتى متى يتبطح أهل الشام بأفنيتكم وظلال دياركم، يا أهل خراسان، انسبوني تجدوني عراقي الأم، عراقي الأب، عراقي المولد، عراقي الهوى والرأي والدين، وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن والعافية، قد فتح الله لكم البلاد، وآمن سُبُلَكم، فالظعينة تخرج من مرو إلى بَلْخَ بغير جوازٍ، فاحمدوا الله على النعمة وسلوا الشكر والمزيد.

ثم نزل فدخل منزله، فأتاه أهل بيته فقالوا: ما رأينا كاليوم قطّ، والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك ودثارك، حتى تناولت بكراً، وهم أنصارك، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تميماً، وهم إخوتك، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد، وهم يدك، فقال: لما تكلمت فلم يُجبني أحد غضبت، فلم أدر ما قلت؛ إن أهل العالية كإبل الصدقة جُمعت من كل أوبٍ، وأما بكر فإنها أمة لا تمنع يد لامسٍ، وأما تميم فجمل أجرب، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه، وأما الأزد فأعلاج شرار من خَلَقَ الله، لو ملكت أمرهم لوسمتهم.

غضب الناس وكرهوا خلع سليمان، وغضبت القبائل من شتم قتيبة، فأجمعوا على خلافه وخلعه،

وكان أول من تكلم في ذلك الأزد، فأتوا حضين بن المنذر فقالوا: إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلع الخليفة، وفيه فساد الدين والدنيا، ثم لم يرض بذلك حتى قصّر بنا وشتمنا فما ترى يا أبا حفص؟ وكان يتكنى في الحرب بأبي ساسان، ويقال: كنيته: أبو محمد، فقال لهم حضين: مضر بخراسان تعدل هذه الثلاثة أخماس، وتميم أكثر الخُمْسَيْن، وهم فرسان خراسان، ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضر، فإن أخرجتموهم من الأمر أعانوا قتيبة؛ قالوا: إنه قد وتر بني تميم بقتل ابن الأهتم، قال: لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصّبون للمضرية، فانصرفوا رادّين لرأي حضين، فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوذان الجهضمي، فأبى، وتدافعوها، فرجعوا إلى حضين، فقالوا: قد تدافعنا الرياسة فنحن نوليك أمرنا، وربيعة لا تخالفك، قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، قالوا: ما ترى؟ قال: إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تمّ أمركم، قالوا: من ترى في تميم؟ قال: ما أرى أحَداً غير وكيع، فقال حيّان مولى بني شيبان: إن أحداً لا يتقلّد هذا الأمر فَيَصْلَى بحرّه، ويُبذل دمه ويتعرّض للقتل، فإن قدم أمير أخذه بما جنى، وكان المهنأ لغيره إلا هذا الأعرابي وكيع، فإنه مقدام لا يبالي ما ركب، ولا ينظر في عاقبة، وله عشيرة

كثيرة تطيعه، وهو موتور يطلب قتيبة برياسته التي صرفها عنه وصيّرها لضرار بن حصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبيّ. فمشى الناس بعضهم إلى بعضٍ سرّاً، وقيل لقتيبة: ليس يُفسد أمر الناس إلا حيّان، فأراد أن يغتاله ـ وكان حيان يلاطف حشم الولاة فلا يخفون عنه شيئاً ـ. فدعا قتيبة رجلاً فأمره بقتل حيّان، وسمعه بعض الخدم فأتى حيان فأخبره، فأرسل إليه يدعوه فحَذِر وتمارض، وأتى الناس وكيعاً فسألوه أن يقوم بأمرهم، فقال: نعم، وتمثل قول الأشهب بن رميلة:

سأجني ما جنيت وإن ركني

لمعتمد إلى نَضَد ركين

وفي خراسان يومئذٍ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف، وبكر سبعة آلاف رئيسهم الحضين بن المنذر، وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبيّ، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن عُلوان عوذي، والأزد عشرة آلاف عليهم عبد الله بن حوذان، ومن الكوفة سبعة آلاف عليهم جَهْم بن زَحْر ـ أو عبيد الله بن علي ـ والموالي سبعة آلاف عليهم حيّان، وحيان يقال: إنه من الديلم، ويقال: إنه من خراسان وإنما قيل له نبطيّ للكنته ـ فأرسل حيان

إلى وكيع: أرأيت إن كففت عنك وأعنتك تجعل لي جانب نهر بلخ وخراجه ما دمت حياً، وما دمت والياً؟ قال: نعم؛ فقال للعجم: هؤلاء يقاتلون على غير دين، فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً؛ قالوا: نعم، فبايعوا وكيعاً سراً، فأتى ضرار بن حصين قتيبة، فقال: إن الناس يختلفون إلى وكيع، وهم يبايعونه ـ وكان وكيع يأتي منزل عبد الله بن مسلم الفقير فيشرب عنده ـ فقال عبد الله: هذا يحسد وكيعاً، وهذا الأمر باطل. وجاء وكيع إلى قتيبة، فقال: احذر ضراراً فإني لا آمنه عليك، فأنزل قتيبة ذلك منهما على التحاسد. وتمارض وكيع. ثم إن قتيبة دسّ ضرار بن سنان الضبيّ إلى وكيع فبايعه سراً، فتبيّن لقتيبة أن الناس يبايعونه، فقال لضرار: قد كنت صدقتني. قال: إني لم أخبرك إلا بعلم، فأنزلت ذلك مني على الحسد، وقد قضيت الذي كان عليّ، قال: صدقت. وأرسل قتيبة إلى وكيع يدعوه، فوجد رسول قتيبة قد طلى على رجله مغرة، وعلى ساقه خرزاً وودعاً، وعنده رجلان من زهران يرقيان رجله، فقال له: أجب الأمير، قال: قد ترى ما برجلي، فرجع الرسول إلى قتيبة، فأعاده إليه، قال: يقول لك: ائتني محمولاً على سرير، قال: لا أستطيع. قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد بني وائل ـ وكان على شرطته ـ

ورجل من غنيّ: انطلقا إلى وكيع فأتياني به. فإن أبى فاضربا عنقه، ووجّه معهما خيلاً، ويقال: كان على شرطه بخراسان ورقاء بن نصر الباهلي.

فلما رأى وكيع الطلب دعا بسكين فقطع خرزاً كان على رجليه، ثم لبس سلاحه، وتمثّل:

شـدّوا عـلـيّ سُـرّتـي لا تـنـقـلـف
يـوم لـهـمـدان ويـوم لـلـصـدف

وخرج وحده، ونظر إليه نسوة فقلن: أبو مطرف وحده، فجاءته جماعة. وكان قد أمر غلمانه فقال: اذهبوا بثَقَلي إلى بني العم. ودفع وكيع رايته إلى عقبة بن شهاب المازني.

واجتمع إلى قتيبة أهل بيته، وخواص من أصحابه وثقاته، وأمر رجلاً فقال: نادِ في الناس، أين بنو عامر؟ فنادى: أين بنو عامر؟ فقال محفن بن جزء الكلابي - وقد كان جفاهم -: حيث وضعتهم، قال: ناد: أذكركم الله والرحم! فنادى محفن: أنت قطعتها، قال: ناد لكم العتبى، فناداه محفن أو غيره: لا أقالنا الله إذن، فقال قتيبة:

يا نفس صبراً على ما كان من ألمٍ
إذ لم أجد لفضول القوم أقرانا

بدأت معركة هادئة بين الطرفين، فقتل عبد الرحمن بن مسلم، أخو قتيبة ثم قتل إخوته: عبد الله، وصالح، وحصين، وعبد الكريم بنو مسلم، كما قُتل ابنه كثير بن قتيبة، وناس من أهل بيته، ونجا أخوه ضرار. وكان من قتل من بني مسلم أحد عشر فإضافةً إلى من ذكرنا: عبيد الله، وعبد الله الفقير، وبَشّار، ومحمد، ومغلس بن عبد الرحمن، ولم ينج منهم سوى عمرو، وضرار(١).

وقتل قتيبة بن مسلم الباهلي ـ رحمه الله ـ وذلك أنه جمع الجند والجيوش، وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة، وترك طاعته، وذكر لهم همّته، وفتوحه، وعدله فيهم، ودفعه الأموال الجزيلة لهم. فلما فرغ من مقالته لم يجبه أحد منهم إلى مقالته فشرع في تأنيبهم وذمهم، قبيلةً قبيلةً، وطائفةً طائفةً فغضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرّقوا، وعملوا على مخالفته وسعوا في قتله. وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له: وكيع بن أبي سود، فجمع جموعاً كثيرةً ثم ناهضه، فلم يزل به حتى قتله في ذي الحجة من سنة ستٍّ وتسعين، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته، ولم

---

(١) تاريخ الطبري.

يبق منهم سوى ضرار بن مسلم، وكانت أمه الغرّاء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زرارة، فحمته أخواله، وعمرو بن مسلم كان عامل الجوزجان. وقتل قتيبة، وعبد الرحمن، وعبد الله، وعبيد الله، وصالح، وبشار، وهؤلاء أبناء مسلم، وأربعة من أبنائهم، فقتلهم كلهم وكيع بن أبي سود.

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة ـ أبو حفص الباهلي من سادات الأمراء وخيارهم، وكان من القادة النجباء الكبراء، والشجعان، وذوي الحروب والفتوحات السعيدة، والآراء الحميدة، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله، فأسلموا ودانوا لله عزّ وجلّ. وفتح من البلاد والأقاليم الكبار، والمدن العظام شيئاً كثيراً، كما تقدّم ذلك مُفصّلاً مُبيّناً، والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا يُخيّب تعبه وجهاده.

ولكن زلّ زلّةً كان فيها حتفه، وفعل فِعلةً رَغِمَ فيها أنفه، وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه، وفارق الجماعة فمات ميتةً جاهليةً، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يُكَفِّر الله به سيئاته، ويضاعف به حسناته، والله يسامحه ويعفو عنه، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء. وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان في ذي الحجة من سنة ستٍّ

وتسعين، وله من العمر ثمانٍ وأربعون سنةً، وكان أبوه أبو صالح مسلم فيمن قُتل مع مصعب بن الزبير.
وكانت ولايته على خراسان عشر سنين، واستفاد وأفاد فيها خيراً كثيراً، وقد رثاه عبد الرحمن بن جمانة الباهلي فقال:

كأن أبا حفصٍ قتيبة لم يسر
بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايات والقوم حوله
وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربّه
وراح إلى الجنّات عفّاً مطهّرا
فما رزئ الإسلام بعد محمدٍ
بمثل أبي حفص فَبَكِّيهِ عَبْهَرا[1]

وقال جرير يرثي قتيبة بن مسلم:

ندمتم على قتل الأمير ابن مسلم
وأنتم إذا لاقيتم الله أندم
لقد كنتم من غزوه في غنيمةٍ
وأنتم لمن لاقيتم اليوم مغنم

(١) البداية والنهاية.

علـى أنـه أفـضـى إلـى حـور جـنّـةٍ
وتـطـبـق بـالـبـلـوى عـلـيـكـم جـهـنّـم

وقال الأصم بن الحجاج يرثي قتيبة:

ألـم يـأن لـلأحـيـاء أن يـعـرفـوا لـنـا
بلى نحن أولى الناس بالمجد والفخر
نـقـود تـمـيـمـاً والـمـوالـي ومِـذْحِـجاً
وأزد وعـبـد الـقـيـس والـحـيّ مـن بـكـر
نُـقـتّـل مـن شـئـنـا بـعـزّة مُـلـكـنـا
ونجبر من شئنا على الخسف والقسر
سليمان كم من عسكرٍ حوت لكم
أسـنّـتـنـا والـمـقـربـات بـنـا تـجـري
وكم من حصونٍ قد أبحنا منيعةٍ
ومـن بـلـدٍ سـهـلٍ ومـن جـبـلٍ وعـر
ومن بلدةٍ لم يغزها الناس قبلنا
غزونا نقود الخيل شهراً إلى شهر
مَرَنّ على الغزو الجرور ووُقّرت
على النفر حتى ما تهال من النفر
وحتى لو أن النار شُبّت وأُكْرِهَت
على النار خاضت في الوغى لهب الجمر

تـلاعـب أطـراف الأسـنّـة والـقـنـا

بلبّاتِها والموت في لججٍ خُضْر

بـهـنّ أبـحـنـا أهـل كـلّ مـديـنـةٍ

من الشرك حتى جاوزت مطلع الفجر

ولو لم تُعَجّلنا المنايا لجاوزت

بنار دم ذي القرنين ذا الصخر والقطر

ولـكـنّ آجـالاً قُـضـيـن ومـدةً

تناهى إليها الطيّبون بنو عمرو

وبعد مقتل قتيبة أصبح وكيع بن أبي سود سيد خراسان ووجد ذلك هوى في نفس سليمان بن عبد الملك لشقّ قتيبة عصا الطاعة، ومفارقة الجماعة وخلع الخليفة فكتب له بإمرة خراسان. وفي الوقت نفسه لم يكن يزيد بن المهلّب يجد الراحة في العراق بعد ظلم الحجاج والنظرة غير الطيبة للوالي، كما لم يكن هناك وئام بينه وبين عامل الخراج صالح بن عبد الرحمن والذي يُضيّق عليه بالأعطيات لذا كان يزيد يرغب بإمرة خراسان إضافةً إلى العراقين لينتقل إليها حيث يميل إلى مرابعها، وفي الوقت نفسه يبتعد عن صالح بن عبد الرحمن.

بعث يزيد بن المهلب عبد الرحمن الأهتم إلى سليمان بن عبد الملك ليُحسّن عنده أمر يزيد بن المهلب

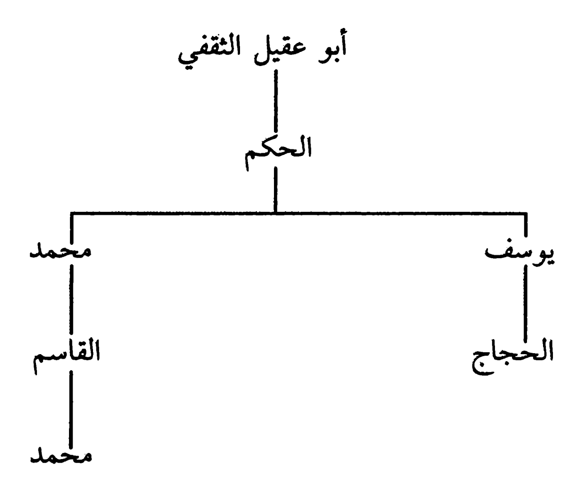
في إمرة خراسان، وينتقص عنده أمر وكيع بن أبي سود، فسار ابن الأهتم ـ وكان ذا دهاءٍ ومكرٍ ـ إلى سليمان بن عبد الملك فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان، وولى عليها يزيد مع إمرة العراق، وبعث بعهده مع ابن الأهتم، فسار في سبعٍ حتى جاء يزيد، فأعطاه عهد خراسان مع العراق، وكان يزيد وعده بمائة ألفٍ، فلم يف بها. وبعث يزيد ابنه مَخْلَداً بين يديه إلى خراسان، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه: أن قيساً زعموا أن قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطاعة، فإن كان وكيع قد تعرّض، وثار عليه بسبب أنه خلع الطاعة، ولم يكن خلع، فقيّده وابعث به إليّ، فتقدّم مخلد فأخذ وكيعاً، فعاقبه وحبسه قبل أن يأتي أبوه، فكانت إمرة وكيع بن أبي سود الذي قتل قتيبة تسعة أشهرٍ أو عشرة أشهرٍ، ثم قدم يزيد بن المهلّب فتسلّم خراسان، وأقام بها، واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي، واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي، وصيّر أخاه مروان بن المهلب على أمواله وأموره بالبصرة، وكان أوثق إخوته عنده، وقد مدحه أبو البهاء الإيادي فقال:

رأيت أبا قبيصة كل يومٍ
على العَلّات أكرمهم طباعا

إذا ما هم أبوا أن يستطيعوا
جسيم الأمر يحمل ما استطاعا
وإن ضاقت صدورهم بأمرٍ
فَضَلْتَهُمْ بذاك ندىً وباعا

**ز ـ السند:**

عزل سليمان بن عبد الملك عن السند محمد بن القاسم الثقفي لأنه ابن عمّ الحجاج، وبعث مكانه يزيد بن أبي كبشة السكسكي، وقد كان حاقداً على محمد بن القاسم، فقيّده، وسجنه، وأوكل إليه من يُعذّبه، وكان أشدّهم عليه معاوية بن يزيد بن المهلب، غير أن ابن أبي كبشة لم يلبث أن توفي بعد ثمانية عشر يوماً، فاستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب.



قدم حبيب بن المهلب إلى السند عاملاً عليها فوجد أن ملوك السند قد استعادوا بعض مواقعهم، ورجعوا إلى بعض مدنهم، حيث عاد جيشبة بن داهر إلى براهمناباد، وذلك لأن المسلمين قد شُغل بعضهم ببعضٍ، وعمل كل منهم على تحقيق أهوائه من مخالفيه، ومن له ثأر من أخيه اتجه لنواله، فإذا ما عادوا للانصراف إلى خصمهم حقّقوا النصر عليه.

نزل حبيب بن المهلب على شاطئ مهران، وشدّ على ملوك السند فمنهم من أعطى الطاعة، وألقى قياده، ومنهم من عاند وركب رأسه، وحارب فهُزم أمام حبيب، واستعاذ المسلمون ما فقدوه، وعادت لهم هيبتهم.

أما محمد بن القاسم فقد حُمل مُكبّلاً إلى واسط بالعراق فأُلقي هناك في السجن، وأُوكل إلى صالح بن عبد الرحمن خصم الحجاج بالإشراف على تعذيبه، فكان يتمثّل قول العرجيّ في حبسه:

أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا
ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

وصبرٍ عند معترك المنايا
وقد شرعت أسنّتها بنحري

أُجَرَّرُ في الجوامع كل يومٍ
فيا لله مَظلمتي وصبري

كـأنـي لـم أكـن فـيـهـم وسـيـطـاً
ولـم تـك نـسـبـتـي فـي آل عـمـرو

وفي السجن نظم محمد بن القاسم شعراً يعتب فيه على بني مروان فقال:

فـلـئـن ثـويـت بـواسـط وبـأرضـهـا
رهـن الـحـديـد مُـكـبّـلاً مـغـلـولا
فـلـرُبّ قـيـنـة فـارسٍ قـد رعـتـهـا
ولـرُبّ قِـرنٍ قـد تـركـت قـتـيـلا

وقال أيضاً:

ولو كنت أجمعت الفرار لوطئت
إنـاث أُعـدت لـلـوغـى وذكـور
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا
ومـا كـان عـن عـكٍّ عـلـيّ أمـيـر
وما كنت للعبد المزوني تابعاً
فـيـا لـك دهـر بـالـكـرام عـثـور

فلما بلغ الشعر سليمان بن عبد الملك أمر بإطلاق سراح محمد بن القاسم.

كانت (صيتا) ابنة الملك داهر قد حُملت مع السبي إلى دمشق، وأُنزلت في دار الشيخ صفوان، فانتقل

صالح بن عبد الرحمن إلى دمشق، واتصل بـ(صيتا)، وأيقظ فيها أحقادها وثأر أبيها ملك (الملتان) الذي كان قد قتله في الحرب محمد بن القاسم الثقفي، وأعطاها صالح الوعود بإعتاقها وحملها إلى ديارها ببلاد السند، إن أعانته على ابن القاسم بافتراءاتٍ عليه، لقّنها إياها، فادّعت أن محمد بن القاسم قد راودها عن نفسها فأبت، وأرادها لنفسه فلم تُمكّنه من نفسها، فنال بالقوة منها وطره، فأخبر صالح بن عبد الرحمن الخليفة سليمان بن عبد الملك بذلك، فأُعيد محمد بن القاسم إلى السجن، واشتد العذاب عليه حتى لقي حتفه سنة ثمانٍ وتسعين، فرثاه حمزة بن بيض الحنفي فقال:

إن المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حِجّةً
يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

وقال آخر:

ساس الرجال لسبع عشرة حِجّةً
ولدّاته إذ ذاك في أشغال

أما (صيتا) فقد اعتنقت الإسلام بعد ذاك، وأحسّت

بالخطيئة التي وقعت بها، فاعترفت بما وقع منها من كذبٍ بادعاءاتها الباطلة، واستغفرت ربها، إلا أن محمد بن القاسم كان قد لقي حتفه.

**ح ـ مصر:**

بعد أن توفي والي مصر قُرّة بن شريك سنة ستٍ وتسعين تولّى أمرها عبد الملك بن رفاعة، وبقي في عمله مدة خلافة سليمان بن عبد الملك، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز عزله وولّى مكانه أيوب بن شُرحبيل.

**ط ـ إفريقية:**

عندما سار والي إفريقية موسى بن نصير نحو الأندلس سنة ثلاثٍ وتسعين استخلف مكانه على إفريقية ولده الكبير عبد الله[1]، فلما استدعي موسى بن نصير

---

(١) عبد الله بن موسى بن نصير اللخمي: أمير، من رجال الفتح في المغرب، كان مع أبيه في إفريقية، واستخلفه عليها عندما سار إلى الأندلس، وبقي في منصبه حتى عُزل سنة سبعٍ وتسعين، ثم سجن وعذّب من قبل والي إفريقية الذي حلّ مكانه محمد بن يزيد، أو بشر بن صفوان الكلبي الذي تولّى أمر إفريقية بعد محمد بن يزيد إذ اتهم بقتل يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج فقتل عبد الله بن موسى سنة اثنتين ومائة، وحمل رأسه إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك.

من الأندلس إلى دمشق بأمرٍ من الوليد بن عبد الملك، بقي عبد الله بن موسى أميراً على إفريقية حتى سنة سبعٍ وتسعين إذ ثبته أثناء مروره عليه في طريقه إلى دمشق، فلما ولي سليمان بن عبد الملك أمر الخلافة في دمشق عزل عبد الله بن موسى عن إفريقية، وولى مكانه محمد بن يزيد[1]، فكان ذا عصبية قيسيةٍ.

### ي ـ الأندلس:

لما استدعي موسى بن نصير من الأندلس من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، ترك موسى الأندلس، واستخلف عليها مكانه ولده عبد العزيز، فنظّم شؤون الحكم، وألّف مجلس شورى من العلماء لاستنباط الأحكام الشرعية، ورفع المظالم عن السكان، وخفّف

---

(١) محمد بن يزيد القرشي بالولاء: أرسله سليمان بن عبد الملك أميراً على إفريقية سنة سبع وتسعين، وعزله الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد وفاة سليمان بن عبد الملك، فكانت إمرته سنتان وعدة أشهرٍ، فلما ولي الخلافة يزيد بن عبد الملك بعث إلى إفريقية يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج وكاتبه، فسار بالناس سيرةً قاسيةً كالحجاج فثاروا عليه وقتلوه، وأعادوا محمد بن يزيد، وأخبروا الخليفة بما فعلوا، وأقر محمد بن يزيد، ولكن لم تطل مدة خلافته فلم تزد على السنتين وبعث الخليفة بأميرٍ جديدٍ على إفريقية بشر بن صفوان الكلبي.

الضرائب، وأمّن الأهالي، وشجّع المسلمين من العرب والبربر على الاختلاط بالسكان، والتزاوج معهم، كي يعرفوا الإسلام عن قُربٍ، ويدخلوا في دين الله، وتزوج أرملة (لذريق)، وحاول كسب النصارى إلى الإسلام فبدأ يتقرّب منهم بغية تعريفهم على الدين الإسلامي.

ولما أدبرت أيام موسى بن نصير، وابتعد عن قواعده وجنده طمع أعداؤه بابنه، ووشوا به إلى الخليفة، ثم ثاروا على عبد العزيز بن موسى، ودخلوا عليه المسجد، وانقضّوا عليه، وهو يصلّي الفجر في المحراب في إشبيلية، فقتلوه، وأرسلوا رأسه إلى سليمان بدمشق فعرضه على أبيه موسى إذ كان عنده، فتجلّد، وقال: هنيئاً له الشهادة، قتلتموه صوّاماً قوّاماً.

تولّى أمر الأندلس بعد عبد العزيز بن موسى أمير الجند أبو أيوب بن حبيب الفهري، وهو ابن أخت موسى بن نصير إلا أنّ إمرته لم تطل إذ بعث الخليفة الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي. وكان الذي حمل رأس عبد العزيز بن موسى من الأندلس إلى دمشق حبيب بن أبي عبيدة مرة بن عقبة بن نافع.

# الولايات في عهد سليمان بن عبد الملك

| السنة | المدينة | مكة المكرمة | | العراق وسائر المشرق | | | | مصر | إفريقية | الأندلس |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | البصرة | الكوفة | خراسان | السند | | | |
| ٩٦ | أبو بكر ابن حزم | خالد بن عبد الله القسري طلحة بن داود الحضرمي | يزيد بن المهلب | سفيان ابن عبد الله | يزيد ابن المهلب | وكيع بن أبي سود | محمد بن القاسم يزيد بن أبي كبشة | عبد الله ابن رفاعة | عبد الله ابن موسى | عبد العزيز ابن موسى |
| ٩٧ | أبو بكر ابن حزم | عبد العزيز ابن عبد الله | يزيد بن المهلب | سفيان ابن عبد الله | حرملة بن عمير اللخمي | يزيد ابن المهلب | حبيب ابن المهلب | عبد الله ابن رفاعة | محمد ابن يزيد | عبد العزيز ابن موسى |
| ٩٨ | أبو بكر ابن حزم | عبد العزيز ابن عبد الله | يزيد بن المهلب | عبد الله بن هلال الكلابي | بشير بن حسان النهدي | يزيد ابن المهلب | حبيب ابن المهلب | عبد الله ابن رفاعة | محمد ابن يزيد | الحر بن عبد الرحمن |
| ٩٩ | أبو بكر ابن حزم | عبد العزيز ابن عبد الله | | عدي ابن أرطأة | بشير بن حسان النهدي | يزيد ابن المهلب | حبيب ابن المهلب | عبد الله ابن رفاعة | محمد ابن يزيد | الحر بن عبد الرحمن |

# الفصل الثالث

## الفتوحات في عهد سليمان

لم تكن هناك فتوحات واسعة في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك لقصر مدة خلافته التي لم تتجاوز السنتين وبضعة أشهرٍ، كما أن المسلمين كانوا فيما سبق قد اجتاحوا مناطق واسعةً في المشرق وأخرى مثلها في المغرب، ففي الشرق دخلوا بلاد ما وراء النهر، والسند، وتوسّعت فتوحاتهم في جنوبي خراسان وطُخارستان، وفي هذه الأقاليم كانت ممالك وإمارات كثيرة وأمم وشعوب متعددة، مختلفة في لغاتها متباينة في عاداتها، ويحتاج الأمر مدةً إلى صهرها في بوتقة الإسلام وترسيخ الإيمان في نفوسها، وتصفية المنطقة كاملةً من عناصر الشرك التي لا تزال ترتع في تلك الجهات. والإسلام لا يقبل أن يعيش مشركون في دياره والأمصار التابعة له، وهذا الأمر يحتاج إلى جهدٍ وزمن.

وفي المغرب دخل المسلمون الأندلس وتوسّعوا في

شبه جزيرة إيبرية كلها والأمر يحتاج إلى مدةٍ لتثبيت أركان الإسلام فيها، وإن التساهل في بقاء جيوبٍ لا تدين بالإسلام ستكون له نتائج وخيمة وسلبيات كثيرة وسيعاني منها المسلمون الكثير في المستقبل إذ لا يكفي الفتح ودخول الأرض بل يحتاج الأمر إلى تثبيت أركانٍ، وتطهيرٍ من الشرك، وعدم أخذ الجزية من غير أهل الكتاب، وإقرار أهل الذمة بعهدهم، ودفع الجزية صغاراً. وعندما يحدث تساهل في هذا الأمر فلن يطول أمر المسلمين في أيّ جزءٍ يقع فيه التساهل، وهذا ما جرى في الأندلس والهند وإن طال العهد وامتدّت الأيام لصلاحية الإسلام وانسجامه مع الفطرة البشرية.

وأما في الشمال فقد بقيت دول الروم قويةً وتدعمها الأمم والشعوب في أوربا والشمال سواء أكانت على نصرانيتها أم كانت وثنيةً ودعمها يأتي خوفاً من قوة دولة الروم، وبسط نفوذها وهيبتها على تلك الأرجاء، ولأن دولة الروم كانت تخوّف تلك الأمم والشعوب من خطر المسلمين القادم - حسب زعمها - فتنتشر بينهم الخوف والذعر لذا كانوا يدفعون بأبنائهم إلى ساحات القتال ضد المسلمين. وهذا ما يفعله الأعداء دائماً إذ يتوهمون خطراً للناس وينشرون الرعب بينهم حتى يقفوا

ضد الإسلام وأهله. وهذا ما جعل القتال في الشمال مع الروم على شكل غزواتٍ، وفتح حصونٍ، ومدنٍ في كل غزوةٍ ولم يكن تقدّم كاسح واجتياح واسع. وبهذا يكون توسع قليل، وفتح على مستوىً محدودٍ. وإن كان على نطاق أوسع على الجبهة الشرقية حيث لا تقوم دولة كافرة معادية تتبنّى الحرب، وتسعى في حشد القوات للوقوف أمام المسلمين، ونشر الافتراءات والشائعات ضد المسلمين ليكون الصمود وتزداد المقاومة.

## أ ـ الجبهة الشرقية:

تولى يزيد بن المهلب أمر خراسان فقدم إليها فأقام ثلاثة أشهرٍ أو أربعة ثم أقبل إلى دهستان[1] وجرجان، وبعث ابنه مخلداً على خراسان، وجاء حتى نزل بدِهستان، وكان أهلها طائفةً من الترك، فأقام عليها، وحاصر أهلها، ومعه أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل الشام، ووجوه أهل خراسان والري، وهو في مائة ألف

---

(١) دهستان: إقليم على طرف جرجان، فهو الجزء الجنوبي الغربي من بلاد تركمانستان، على جانبي نهر أتراك. ويبدو أن كلمة دهـ محرفة من (داغ) وتعني جبل بالتركية و(ستان) تعني موضع بالفارسية، ويبدو أنه مكان مدينة (عشق أباد) اليوم.

مقاتلٍ سوى الموالي والمماليك والمتطوّعين، فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس، وعندما رأى أهل دِهستان عجزهم أرسل كبيرهم رسولاً إلى يزيد يقول له: إني أُصالحك على أن تُؤمّنني على نفسي وأهل بيتي ومالي، وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها، فصالحه، وقبل منه، ووفى له، ودخل المدينة، وأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز، ومن السبي شيئاً لا يُحصى، وقتل أربعة عشر ألفاً من الأتراك، وكتب بذلك إلى سليمان بن عبد الملك، وقد اشتهر من الأبطال في ذلك القتال: جَهْم بن زَحْر، وأخوه جمال بن زَحْر، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي.

ثم خرج حتى أتى جرجان، وقد كانوا يُصالحون أهل الكوفة على مائة ألفٍ، ومائتي ألفٍ أحياناً، وثلاثمائة ألفٍ، وصالحوهم عليها، فلما أتاهم يزيد استقبلوه بالصلح، وهابوه، وزادوه، فاستخلف عليهم رجلاً من الأزد، يقال له: أسد بن عبد الله.

ودخل يزيد على الإصبهبذ كبير طبرستان فغلب يزيد على أرضه وحاصره، فأخذ الإصبهبذ يعرض على يزيد الصلح، ويريده إلى ما كان يُؤخذ منه، فيأبى رجاء افتتاحها. فبعث ذات يومٍ أخاه أبا عيينة في أهل المصرين

(البصرة والكوفة) فأصعد في الجبل إليهم، وقد بعث الإصبهبذ إلى الديلم، فاستجاش بهم، فاقتتلوا، فحازهم المسلمون ساعةً وكشفوهم، وخرج رأس الديلم يسأله المبارزة فخرج إليه محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي فقتله، فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فم الشِعب، فذهبوا ليصعدوا فيه، وأشرف عليهم العدوّ يرشقونهم بالنشاب، ويرمونهم بالحجارة، فانهزم الناس من فم الشِّعب من غير كبير قتالٍ، ولا قوةٍ من عدوهم على اتباعهم وطلبهم، وأقبلوا يركب بعضهم بعضاً حتى أخذوا يتساقطون في اللُّهوب، ويتدهدى الرجل من رأس الجبل حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يعبؤون بالشر شيئاً.

وأقام يزيد بمكانه على حاله، وأقبل الإصبهبذ يكاتب أهل جرجان ويسألهم أن يثبوا بأصحاب يزيد، وأن يقطعوا عليه مادته والطرق فيما بينه وبين العرب، ويعدهم أن يكافئهم على ذلك، فوثبوا بمن كان يزيد خلّف من المسلمين، فقتلوا منهم من قدروا عليه، واجتمع بقيتهم فتحصّنوا في جانبٍ، فلم يزالوا حتى خرج إليهم يزيد، وأقام يزيد على الإصبهبذ في أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهمٍ وأربعمائة ألفٍ

نقداً ومائتي ألف وأربعمائة حمارٍ موقرة زعفراناً، وأربعمائة رجلٍ على رأس كل رجلٍ بُرْنُس، على البرنس طيلسان ولجام من فضة وسَرَقة[1] من حرير، وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتي ألف درهم. ثم خرج منها يزيد وأصحابه كأنهم فَلّ، ولولا ما صنعَ أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها[2].

إن سعيد بن العاص[3] أول من صالح أهل جرجان، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت جرجان بعد سعيد

---

(١) سَرَقة: قطعة.

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) هذا ما ورد في تاريخ الطبري، والبداية والنهاية لابن كثير، والصحيح أن أول من صالح أهل جرجان هو سويد بن مقرّن، وهو الذي صالحهم، وهذا نص وثيقة الصلح بين الطرفين: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من سويد بن مقرن لـ(رزبان صول بن رزبان) وأهل (دهستان) وسائر أهل (جرجان) أن لكم الذِّمّة وعلينا المنعة على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم، ومن استعنا به منكم فله جزاء في معونته عوضاً عن جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، ومللهم، وشرائعهم، ولا يغيّر شيء من ذلك هو إليهم ما أدّوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا، ووقّروا المسلمين ولم يبدُ منهم سلّ ولا غلّ...» (تاريخ الطبري أحداث سنة ٢٢) إذن يوجد تناقض عند الطبري.

أحد ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن يسلك طريق خراسان من ناحيته أحد إلا على وجلٍ وخوفٍ من أهل جرجان، وكان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان فأول من صيّر الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان. ثم غزا مصقلة خراسان أيام معاوية في عشرة آلاف، فأُصيب وجنده بالرويان، وهي متاخمة طبرستان، فهلكوا في وادٍ من أوديتها، أخذ العدوّ عليهم بمضايقه فقُتلوا جميعاً، فهو يسمى وادي مصقلة. وكان يضرب به المثل فيقال: حتى يرجع مصقلة من طبرستان.

لما صالح سعيد بن العاص أهل جرجان كانوا يجيئون أحياناً بمائة ألفٍ، ويقولون: هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألفٍ، وأحياناً ثلاثمائة ألفٍ، وكانوا ربما أعطوا ذلك، وربما منعوه، ثم امتنعوا وكفروا فلم يُعطوا خراجاً، حتى أتاهم يزيد بن المهلب، فلم يُعازّه أحد حين قدمها، فلما صالح (صول) وفتح البحيرة ودِهِستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص.

وكان (صول) التركي ينزل (دهستان) و(البحيرة) ـ جزيرة في البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم ـ فكان (صول) يُغير على (فيروز بن قول) مرزبان جرجان وبينهم خمسة وعشرون

فرسخاً، فيصيب من أطرافهم، ثم يرجع إلى (البحيرة) و(دهستان) فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المَرْزُبان مُنازعة، فاعتزله المَرْزُبان، فنزلَ البياسان، فخاف فيروز أنْ يغير عليه الترك، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان، وأخذ صول جرجان، فلما قدم على يزيد بن المهلب قال له: ما أقدمك؟ قال: خفت (صول) فهربت منه، قال له يزيد: هل من حيلةٍ لقتاله؟ قال: نعم، شيء واحد، إن ظفرت به قتلته، أو أعطى بيده، قال: ما هو؟ قال: إن خرج من جرجان حتى ينزل البحيرة، ثم أتيته، ثم حاصرته ظفرت به، فاكتب إلى (الإصبهبذ) كتاباً تسأله فيه أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان، واجعل له على ذلك جُعلاً، ومِنَّة، فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقرّب به إليه لأنه يعظمه، فيتحوّل عن جرجان، فينزل البحيرة.

فكتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان: إني أريد أن أغزو (صول) وهو بجرجان، فخفت إن بلغه أني أريد ذلك أن يتحوّل إلى البحيرة فينزلها، فإن تحوّل إليها لم أقدر عليه، وهو يسمع منك، ويستنصحك، فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البحيرة حملتُ إليك خمسين ألف مثقالٍ؛ فاحتل له حيلةً تحبسه بجرجان،

فإنه إن أقام بها ظفرتُ به. فلما رأى الإصبهبذ الكتاب أراد أن يتقرّب إلى صول فبعث بالكتاب إليه، فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل إلى البحيرة، وحمل الأطعمة ليتحصّن فيها. وبلغ يزيد أنه قد سار من جرجان إلى البحيرة، فاعتزم على السير إلى الجرجان، فخرج في ثلاثين ألفاً، ومعه فيروز بن قول، واستخلف على خراسان مخلد بن يزيد، واستخلف على سمرقند، وكش، ونسف، وبخارى ابنه معاوية بن يزيد، وعلى طُخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب، وأقبل حتى أتى جرجان، ولم تكن يومئذٍ مدينة إنما هي جبال محيطة بها، وأبواب، ومخارم، يقوم الرجل على بابٍ منها فلا يقدم عليه أحد، فدخلها يزيد لم يعازّه أحد، وأصاب أموالاً، وهرب المَرْزُبان، وخرج يزيد بالناس إلى البحيرة، فأناخ على صول، وتمثّل حين نزل بهم:

فخرّ السيف وارتعشت يداه

وكان بنفسه وُقيت نفوس

فحاصرهم، فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه، ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة، ومكث الترك محصورين يخرجون فيقاتلون، ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهرٍ، حتى شربوا ماء الأحساء،

فأصابهم داء يُسمّى السؤاد (من شرب الماء الملح)، فوقع فيهم الموت، وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح، فقال يزيد بن المهلب: لا، إلا أن ينزل على حكمي، فأبى. فأرسل إليه: إني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصّتي، على أن تؤمنني فتنزل البحيرة، فأجابه إلى ذاك يزيد، فخرج بماله وثلاثمائةٍ ممن أحبّ، وصار مع يزيد، فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً، ومنّ على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً. وقال الجند ليزيد: أعطنا أرزاقنا، فدعا إدريس بن حنظلة العمّيّ، فقال: يا ابن حنظلة، أحصِ لنا ما في البحيرة حتى نعطي الجند، فدخلها إدريس، فلم يقدر على إحصاء ما فيها، فقال ليزيد: فيها ما لا أستطيع إحصاءه، وهو في ظروف، فنحصي الجواليق ونعلّم ما فيها، ونقول للجند: ادخلوا فخذوا، فمن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الحنطة، والشعير، والأرز، والسمسم، والعسل. قال: نِعْمَ ما رأيت، فأحصوا الجواليق عدداً، وعلّموا كل جوالقٍ ما فيه، وقالوا للجند: خذوا، فكان الرجل يخرج وقد أخذ ثياباً أو طعاماً أو ما حمل من شيء، فيكتب على كل رجلٍ ما أخذ، فأخذوا شيئاً كثيراً[1].

---

(١) تاريخ الطبري.

أصاب يزيد بن المهلب تاجاً بـ(جرجان) فيه جوهر، فقال: أترون أحداً يزهد في هذا التاج؟ قالوا: لا. فدعا محمد بن واسع الأزدي، فقال: خذ هذا التاج فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه، قال: عزمت عليك، فأخذه، وخرج، فأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به، فلقي سائلاً فدفعه إليه، فأخذ الرجل السائل، فأتى به يزيد، وأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج، وعوّض السائل مالاً كثيراً.

كان سليمان بن عبد الملك كلما افتتح قتيبة فتحاً قال ليزيد بن المهلب: أما ترى ما يصنع على يدي قتيبة، فيقول ابن المهلب: ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس والطريق الأعظم، وأفسدت قومِس، وأبرشهر، ويقول: هذه الفتوح ليست بشيءٍ، الشأن في جرجان. فلما ولي يزيد بن المهلب لم يكن له هم غير جرجان. وكان يزيد في عشرين ومائة ألفٍ، معه من أهل الشام ستون ألفاً.

لما صالح يزيد بن المهلب (صول) طمع في طبرستان أن يفتحها، فاعتزم على أن يسير إليها، فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكري على البياسان ودهِستان، وخلف معه أربعة آلافٍ، ثم أقبل إلى أدنى

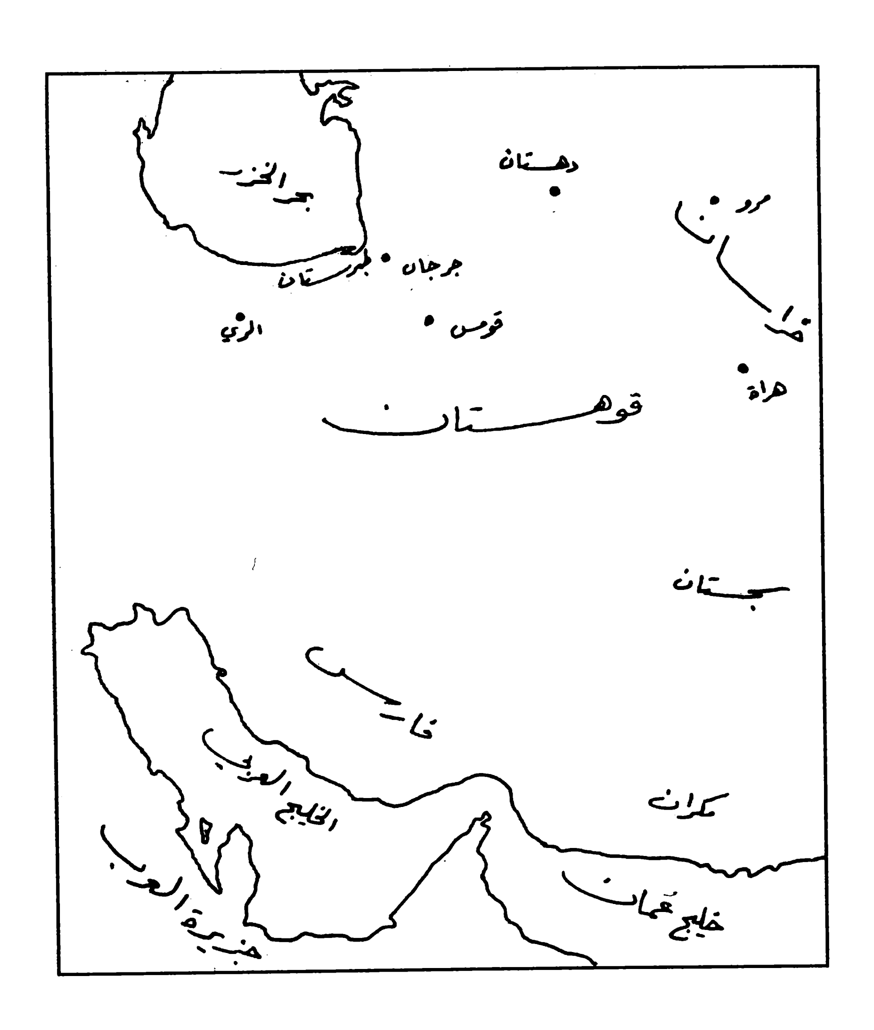
جرجان مما يلي طبرستان، واستعمل على أندرستان أسد بن عمرو، أو ابن عبد الله بن الربعة، وهي مما يلي طبرستان، وخلّفه في أربعة آلافٍ، ودخل يزيد بلاد الإصبهبذ فأرسل إليه يسأله الصلح وأن يخرج من طبرستان، فأبى يزيد، ورجا أن يفتحها، فوجّه أخاه أبا عيينة من وجهٍ، وخالد بن يزيد ابنه من وجهٍ، وأبا الجهم الكلبي من وجهٍ، وقال: إذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس، فسار أبو عيينة في أهل المصرين ومعه هُرَيم بن أبي طحمة، وقال يزيد لأبي عيينة: شاور هُرَيْماً فإنه ناصح، وأقام يزيد معسكراً.

استجاش الإصبهبذ بأهل جيلان وأهل الديلم فأتوه، فالتقوا في سند جبلٍ، فانهزم المشركون، وأتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى فم الشعب فدخله المسلمون، فصعد المشركون الجبل، واتبعهم المسلمون، فرماهم العدو بالنشّاب والحجارة، فانهزم أبو عيينة والمسلمون فركب بعضهم بعضاً يتساقطون من الجبل، فلم يثبتوا حتى انتهوا إلى معسكر يزيد، وكفّ العدو عن اتباعهم، وخافهم الإصبهبذ، فكتب إلى المرزُبان ابن عمّ فيروز بن قول، وهو بأقصى جرجان مما يلي البياسان: إنا قد قتلنا يزيد وأصحابه فاقتل من في البياسان من العرب، فخرج

إلى أهل البياسان، والمسلمون غارّون في منازلهم، قد أجمعوا على قتلهم، فقُتلوا جميعاً في ليلةٍ، فأصبح عبد الله بن المعمر اليشكريّ مقتولاً وأربعة آلافٍ من المسلمين، لم ينجُ منهم أحد، وقتل من بني العمّ خمسون رجلًا؛ قتل الحسين بن عبد الرحمن، وإسماعيل بن إبراهيم بن شماس. وكتب إلى الإصبهبذ يأخذ بالمضائق والطرق. وبلغ يزيدَ قتلُ عبد الله بن المعمر وأصحابه، فأعظموا، وهالهم، ففزع يزيد إلى حيّان النبطيّ. وقال: لا يمنعك ما كان مني إليك من نصيحة المسلمين، قد جاءنا من جرجان ما جاءنا، وقد أخذ هذا بالطرق، فأعمل في الصلح، قال: نعم، فأتى حيان الإصبهبذ، فقال: أنا رجل منكم، وإن كان الدين قد فرّق بيني وبينكم، فإني لكم ناصح، وأنت أحب إليّ من يزيد، وقد بعث يستمدّ، وأمداده منه قريبة، وإنما أصابوا منه طرفاً، ولست آمَنُ أن يأتيك ما لا تقوم له، فأرح نفسك منه، وصالحه فإنك إن صالحته صيّر حدّه على أهل جرجان بغدرهم وقتلهم من قتلوا، فصالحه على سبعمائة ألفٍ ـ وقال علي بن مجاهد: على خمسمائة ألفٍ ـ وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين، وأربعمائة رجلٍ على كل رجلٍ برنس وطيلسان، ومع كل رجلٍ جام فضة وسَرَقة خزٍّ وكِسوة.

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال: ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه قال: من عندهم أو من عندنا؟ قال: من عندهم. وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا، ويرجع إلى جرجان، فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيّان، وانصرف إلى جرجان، وكان يزيد قد غرّم حيّاناً مائتي ألفٍ، فخاف ألا يُناصحه.

والسبب الذي أغرم له حيّان فيه ما حدّثني عليّ بن مجاهد عن خالد بن صبيحٍ قال: كنت مؤدّباً لولد حيّان، فدعاني فقال لي: اكتبْ كتاباً إلى مَخْلَد بن يزيد ـ ومَخْلَد يومئذٍ بِبَلْخَ ويزيد بمرو ـ فتناولت القرطاس، فقال: اكتب: من حيّان مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيد، فغمزني مقاتل بن حيّان ألا تكتب، وأقبل على أبيه فقال: يا أبت تكتب إلى مخلد وتبدأ بنفسك، قال: نعم يا بني، فإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة، ثم قال لي: اكتب، فكتبتُ. فبعث مَخْلَد بكتابه إلى أبيه، فأغرم يزيد حيّاناً مائتي ألف درهمٍ.


بحر الخزر
دهستان
مرو
خراسان
جرجان
طبرستان
الري
قومس
هراة
قوهستان
سجستان
فارس
الخليج العربي
مكران
خليج عمان
جزيرة العرب

**فتح جرجان:**

نقض أهل جرجان الصلح، وغدروا بجند المسلمين، فلما صالح يزيد أهل طبرستان قصد جرجان، وأعطى الله عهداً لئن ظفر بهم ليفعلنّ ويفعلنّ و. . .

فلما بلغ المَرْزُبان أنه قد صالح الإصبهبذ وتوجّه إلى جرجان، جمع أصحابه، وأتى (وجاه) فتحصّن فيها، وصاحبها لا يحتاج إلى عدّةٍ من طعامٍ ولا شرابٍ. وأقبل يزيد حتى نزل عليها، وهم متحصّنون فيها، وحولها غياض، فليس يعرف لها إلا طريق واحد، فأقام بذلك سبعة أشهرٍ لا يقدر منهم على شيءٍ، ولا يعرف لهم مأتىً إلا من وجهٍ واحدٍ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجعون إلى حصنهم، فبينا هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع من يتصيّد، ومعه شاكريّة له.

فخرج رجل من عسكره من طيءٍ يتصيّد فأبصر وعلاً يرقى في الجبل فاتّبعه، وقال لمن معه: قفوا مكانكم، ووغل في الجبل يقتصّ الأثر، فما شعر بشيء حتى هجم على عسكرهم، فرجع يريد أصحابه، فخاف ألا يهتدي، فجعل يخرّق قباءه، ويعقد على الشجر علامات، حتى وصل إلى أصحابه، ثم رجع إلى

العسكر. ويقال: إن الذي كان يتصيّد هو الهيّاج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس، وكان منهوماً بالصيد، فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أينم الواشجعي صاحب شرطة يزيد، فمنعوه من الدخول، فصاح: إن عندي نصيحة. وقيل: جاء حتى رفع ذلك إلى ابني زَحْر بن قيس، فانطلق به ابنا زَحْر حتى أدخلاه على يزيد، فأعلمه، فضمن له بضمان الجهنية ـ أم ولد كانت ليزيد ـ على شيءٍ قد سّماه.

فدعا به يزيد، فقال: ما عندك؟ قال: أتريد أن تدخل (وجاه) بغير قتالٍ؟ قال: نعم. قال: جعالتي؟ قال: احتكم، قال: أربعة آلافٍ، قال: لك دية. قال: عجّلوا لي أربعة آلافٍ، ثم أنتم بعدُ من وراء الإحسان، فأمر له بأربعة آلافٍ، وندب الناس، فانتدب ألف وأربعمائةٍ، فقال: الطريق يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض، فاختار منهم ثلاثمائة، فوجّههم، واستعمل عليهم جَهْم بن زَحْر.

وقال بعضهم: استعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد، وقال له: إن غُلبتَ على الحياة فلا تغلبن على الموت، وإياك أن أراك عندي منهزماً، وضمّ إليه جَهْم بن زَحْر، وقال يزيد للرجل الذي ندب الناس معه: متى تصل إليهم؟ قال: غداً عند العصر فيما بين الصلاتين، قال:

امضوا على بركة الله، فإني سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة العصر. فساروا، فلما قارب انتصاف النهار من غدٍ أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار في حطبٍ كان جمعه في حصاره إياهم، فصيّره آكاماً، فأضرموه ناراً، فلم تَزُلِ الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران، ونظر العدو إلى النار، فهالهم ما رأوا من كثرتها، فخرجوا إليهم، وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا، فجمعوا بين الصلاتين، ثم زحفوا إليهم فاقتتلوا، وسار الآخرون بقية يومهم والغد، فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر، وهم آمنون من ذلك الوجه، ويزيد يقاتل من هذا الوجه، فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم، وركبهم المسلمون، فأعطوا بأيديهم، ونزلوا على حكم يزيد، فسبى ذراريهم، وقتل مقاتلتهم، وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندرهز ـ وادي بجرجان ـ وقال: من طلبهم بثأرٍ فليقتل، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادي، وأجرى الماء في الوادي على الدم و. . . وقال بعضهم: قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً، ولم تكن قبل ذلك مدينة، ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جَهْم بن زَحْر الجعفيّ.

وقيل: دعا يزيد جَهْم بن زَحْر فبعث معه أربعمائة رجلٍ حتى أخذوا في المكان الذي دُلّوا عليه، وقد أمرهم يزيد فقال: إذا وصلتم إلى المدينة فانتظروا، حتى إذا كان السحر فكبّروا، ثم انطلقوا نحو باب المدينة، فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها، فلما دخل ابن زَحْر المدينة أمهل حتى إذا كانت الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه، فأخذ لا يستقبل أحداً من أحراسهم إلا قتله، وكبّر ففزع أهل المدينة فزعاً لم يدخلهم مثله قطّ فيما مضى، فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم يكبرون، فدُهِشوا، فألقى الله في قلوبهم الرعب، وأقبلوا لا يدرون أين يتوجّهون! غير أن عصابةً منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جَهْم بن زَحْر، فقاتلوا ساعةً، فدُقَّت يد جَهْم، وصبر لهم هو وأصحابه، فلم يلبثوهم أن قتلوهم إلا قليلاً منهم. وسمع يزيد بن المهلب التكبير فوثب في الناس إلى الباب فوجدهم قد شغلهم جَهْم بن زَحْر عن الباب، فلم يجد عليه من يمنعه، ولا من يدفع عنه كبير دفع، ففتح الباب ودخلها من ساعته، فأخرج من كان فيهاَ من المقاتلة، فنصب لهم الجذوع فرسخين عن يمين الطريق ويساره، فصلبهم أربعة فراسخ، وسبى أهلها، وأصاب ما كان فيها (ذلك لأن أهل جراجان كانوا من

الحرابة «قطاع الطرق» وهذا حكم الشرع فيهم).

وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك: أما بعد، فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيى ذلك سابور ذا الأكتاف، وكسرى بن قباذ، وكسرى بن هرمز، وأعيى الفاروق عمر بن الخطاب[1]، وعثمان بن عفان، ومن بعدهما من خلفاء الله، حتى فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامةً من الله، وزيادةً في نعمه عليه. وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حقٍّ حقه من الفيء والغنيمة ستة آلاف ألفٍ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين ـ إن شاء الله ـ.

فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قُرّة مولى بني سدوس: لا تكتب بتسمية مالٍ، فإنك من ذلك بين أمرين: إما استكثره فأمرك بحمله، وإما سخت نفسه لك

---

(١) هذا ليس بصحيح إذ فتحت جرجان أيام الفاروق عمر بن الخطاب على يد سويد بن مقرّن سنة اثنتين وعشرين عندما أمر الفاروق بالانسياح في أراضي دولة فارس بناءً على رأي الأحنف بن قيس.

به فسوّغكه فتكلّفت الهدية فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقبله، فكأني بك قد استغرقت ما سمّيت، ولم يقع منه موقعاً، ويبقى المال الذي سمّيت مخلّداً عندهم عليك في دواوينهم، فإن ولي والٍ بعدك أخذك به، وإن ولي من يتحامل عليك لم يرض منك بأضعافه، فلا تمض كتابك، ولكن اكتب بالفتح، سَلْهُ القدوم فتُشافهه بما أحببت مشافهةً، ولا تُقصِّر، فإنك إن تُقصِّر عمّا أحببت أحرى من أن تكثر.

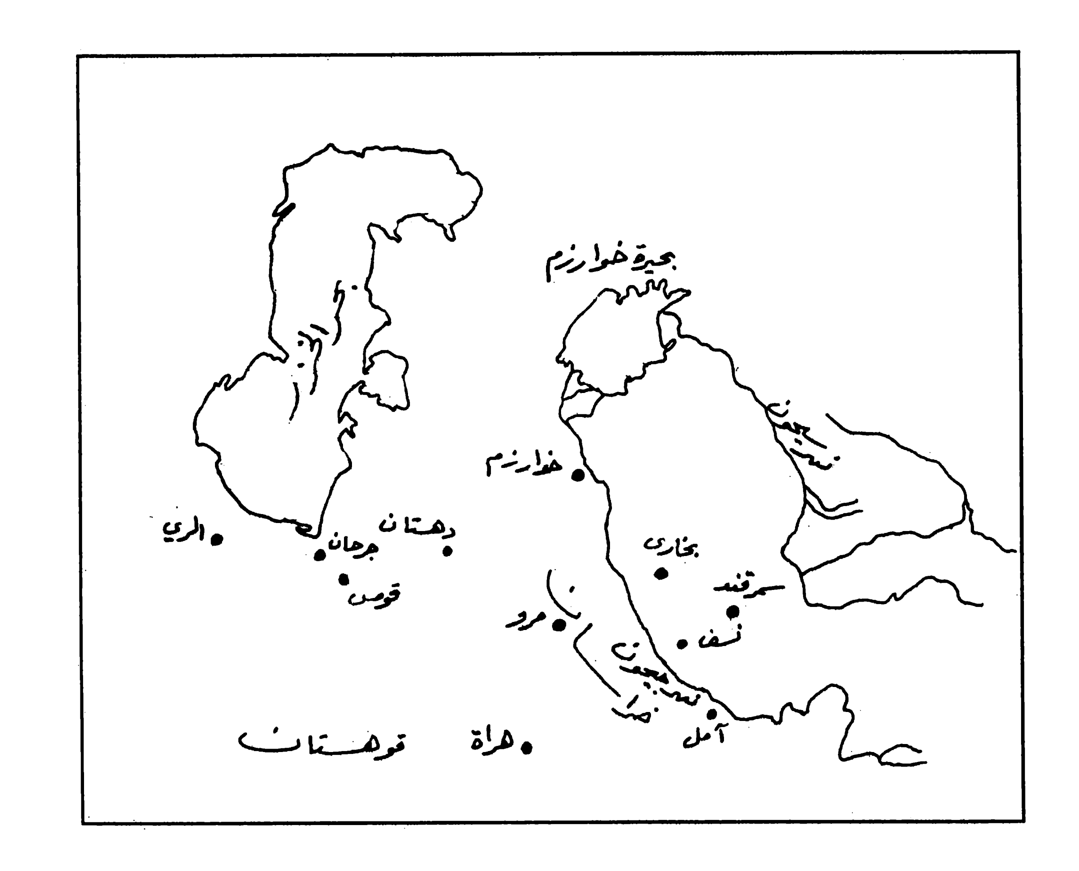
فأبى يزيد، وأمضى، وقال بعضهم: كان في الكتاب أربعة آلاف ألفٍ[1].

## ب ـ الجبهة الشمالية:

وهي التي تواجه دولة الروم، وكان الغزو فيها لا ينقطع صيفاً ولا شتاءً، فهناك جيوش تغزو بالصيف، وتُعرف بالصوائف، ومفردها صائفة، وأخرى تغزو بالشتاء، وتُعرف بالشواتي، ومفردها شاتية، ولم يكن هناك غزو على نطاقٍ واسعٍ يشمل ثغور الجبهة كلها وعلى امتدادها، بل كان الجَيش يتقدّم في الصيف أو الشتاء فيغزو منطقة فيفتح حصناً، أو يدخل مدينة،

---

(١) تاريخ الطبري.



بحيرة خوارزم
خوارزم
نهر سيحون
الري
جرجان
دهستان
قومس
بخارى
سمرقند
نسف
مرو
نهر جيحون
آمل
هراة
قوهستان

ويتوقّف بعدها. ففي سنة ستٍّ وتسعين غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم على رأس صائفة، وفتح حصن عوفٍ.

وسار داود بن سليمان بن عبد الملك سنة سبع وتسعين على رأس صائفةٍ، وفتح حصن المرأة من منطقةَ ملاطية.

وانطلق مسلمة بن عبد الملك عام سبعةٍ وتسعين على رأس صائفةٍ فدخل الوضّاحية، وغزا عمر بن هبيرة الفزاري أرض الروم بحراً وشتّى في بلادهم.

غير أن الغزوة المهمة والواسعة قد كانت سنة ثمانٍ وتسعين، وهي غزوة القسطنطينية. لقد كان جيش على أبواب القسطنطينية يُحاصرها، ويُنازل أهلها، وفي عام ثمانية وتسعين جهّز سليمان بن عبد الملك ـ أمير المؤمنين ـ أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية، وراء الجيش الذي هم بها، فسار إليها، ومعه جيش عظيم، ثم التفّ عليه ذلك الجيش الذين هم هناك، وقد أمر كل رجلٍ من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مُدّين من طعامٍ، فلما وصل إليها جمعوا ذلك، فإذا هو أمثال الجبال، فقال لهم مسلمة: اتركوا هذا الطعام، وكلوا مما تجدونه في بلادهم، وازرعوا في أماكن الزرع

واستغلوه، وابنوا لكم بيوتاً من خشبٍ، فإنا لا نرجع عن هذا البلد إلا أن يفتحها ـ إن شاء الله ـ.

ثم إن مسلمة داخل رجلاً من النصارى يقال له: إليون، ووطأه في الباطن ليأخذ له بلاد الروم، فظهر منه نصح في بادئ الأمر، ثم إنه توفي ملك القسطنطينية، فدخل إليون في رسالةٍ من مسلمة ـ وقد خافته الروم خوفاً شديداً ـ فلما دخل إليهم إليون قالوا له: رُدّه عنا ونحن نُملّكك علينا، فخرج فأعمل الحيلة في الغدر والمكر، ولم يزل ـ قبّحه الله ـ حتى أحرق ذلك الطعام الذي للمسلمين.

وذلك أنه قال لمسلمة: إنهم ما داموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تطاولهم في القتال، فلو أحرقته لتحققوا منك العزم، وسلّموا إليك البلد سريعاً، فأمر مسلمة بالطعام فأُحرق، ثم انشمر إليون في السفن، وأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيش في الليل، وأصبح وهو في البلد محارباً للمسلمين، وأظهر العداوة الأكيدة، وتحصّن، واجتمعت عليه الروم، وضاق الحال على المسلمين حتى أكلوا كل شيءٍ إلا التراب، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءهم خبر وفاة سليمان بن عبد الملك، وتولية عمر بن عبد العزيز، فكرّوا راجعين إلى الشام،

وقد جهدوا جهداً شديداً، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية شديد البناء محكماً، رحب البناء، شاهقاً في السماء.

وقال الواقدي: لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة ببيت المقدس، ثم يرسل العساكر إلى القسطنطينية، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والرساتيق والحصون حتى يبلغ المدينة، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها، ووهنت قوتها، فإذا فعلتَ ذلك لم يبق بينك وبينها مانع، فيعطوا ما بأيديهم ويسلموا لك البلد. ثم استشار أخاه مسلمة، فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عَنوةً فمتى ما فتحت فإن باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك، فقال سليمان: هذا هو الرأي، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهّز في البر مائةً وعشرين ألفاً، وفي البحر مائةً وعشرين ألفاً، وأخرج لهم الأعطية، وأنفق عليهم الأموال الكثيرة، وأعلمهم بغزو القسطنطينية، والإقامة إلى أن يفتحوها[1]، ثم سار سليمان من بيت

---

(١) كان الحرص شديداً على فتح القسطنطينية لقول رسول الله، ﷺ: (لتفتحنّ القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش) رواه أحمد والحاكم عن بشر الغنوي.

المقدس فدخل دمشق، وقد اجتمعت له العساكر، فأمّر عليهم أخاه مسلمة، ثم قال: سيروا على بركة الله، وعليكم بتقوى الله، والصبر، والتناصح، والتناصف.

ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوّعة المحتسبين أجورهم على الله، فاجتمع له جند عظيم لم يُر مثله، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش، وأخذ معه إليون الرومي المرعشي، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم، وعرض أهلها الجزية على مسلمة، فأبى إلا أن يفتحها عَنوةً، قالوا: فابعث إلينا إليون نشاوره، فأرسله إليهم، فقالوا له: رُدّ هذه العساكر عنا، ونحن نُعطيك ونُملّكك علينا، فرجع إلى مسلمة فقال: قد أجابوا إلى فتحها، غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحّى عنهم، فقال مسلمة: إني أخشى غدرك، فحلف له إنه يدفع إليه مفاتيحها وما فيها، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدّم من أسوارها، واستعدّوا للحصار، وغدر إليون بالمسلمين ـ قبّحه الله[1] ـ.

وفي رواية: أنه بعث من أهل مصر وإفريقية ألف

---

(١) البداية والنهاية.

مركب في البحر، عليهم عمر بن هبيرة، وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلمة، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك في جماعةٍ من أهل بيته[1].

وذكر ابن عساكر: أن مسلمة بن عبد الملك لما ضيق بمحاصرته على أهل القسطنطينية، وتتبع المسالك، واستحوذ على ما هنالك من الممالك، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البُرجان يستنصره على مسلمة، ويقول له: ليس لهم همة إلا الدعوة إلى دينهم، الأقرب منهم فالأقرب، وإنهم متى فرغوا مني خلصوا إليك فمهما كنت صانعاً حينئذ فاصنعه الآن، فعند ذلك شرع ـ لعنه الله ـ في المكر والخديعة، فكتب إلى مسلمة يقول له: إن إليون كتب إلي يستنصرني عليك، وأنا معك، فمرني بما شئت، فكتب إليه مسلمة: إني لا أريد منك رجالاً ولا عدداً، ولكن أرسل إلينا بالميرة، فقد قلّ ما عندنا من الأزواد. فكتب إليه: إني قد أرسلت إليك بسوقٍ عظيمةٍ إلى مكان كذا وكذا، فأرسل من يتسلّمها ويشتري منها، فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك، فيشتري له ما يحتاج إليه، فذهب خلق

---

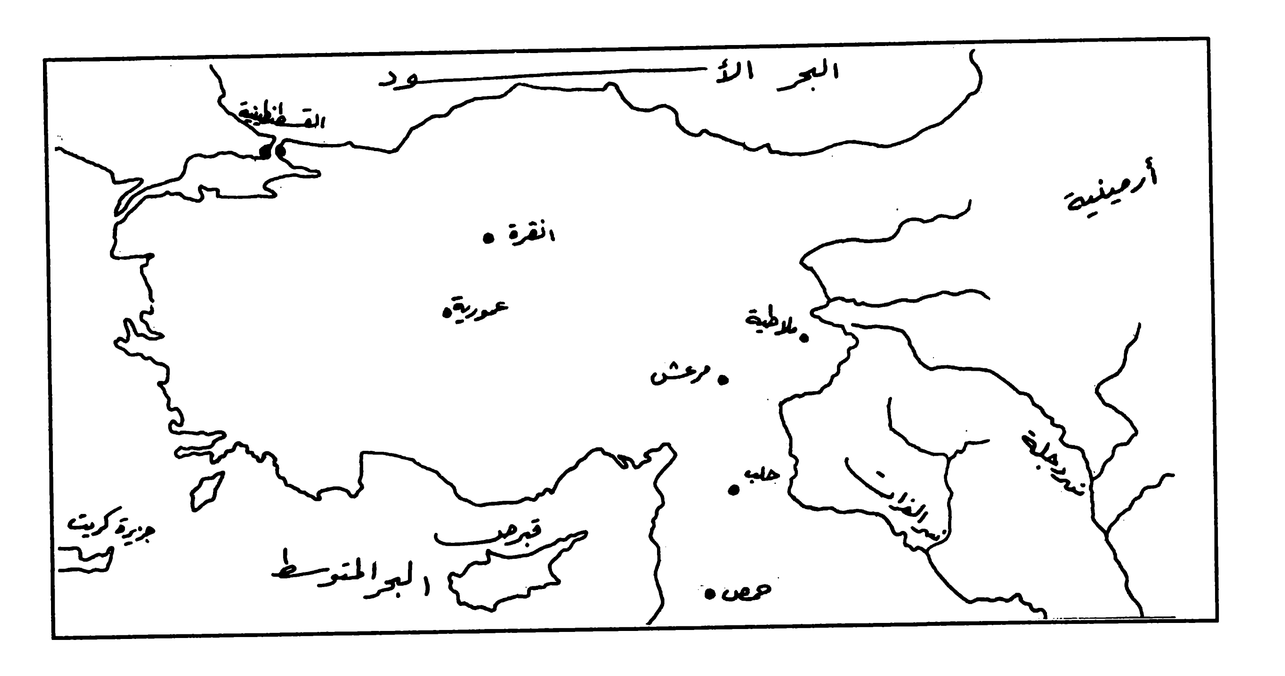
(١) البداية والنهاية.

كثير، فوجدوا هنالك سوقاً هائلة، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة، فأقبلوا يشترون، واشتغلوا بذلك، ولا يشعرون بما أرصد لهم الخبيث من الكمائن بين قلل الجبال التي هنالك، فخرجوا عليهم بغتةً واحدةً، فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين، وأسروا آخرين، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك، فأرسل جيشاً كثيفاً صحبه شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي، وأمرهم أن يعبروا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك البُرجان، ثم يعودوا إلى مسلمة، فذهبوا إلى بلاد البرجان، وقطعوا إليهم تلك الخلجان، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً، فهزمهم المسلمون بإذن الله، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً، وخلّصوا أسرى المسلمين، ثم تحيّزوا إلى مسلمة، فكانوا عنده حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز، خوفاً عليهم من عائلة الروم وبلادهم، ومن ضيق العيش، وقد كان لهم قبل ذلك مدةً طويلة ـ أثابهم الله[1] ـ.

---

(١) البداية والنهاية.



البحر الأسود
القسطنطينية
أرمينية
انقرة
عمورية
ملاطية
مرعش
حلب
حمص
نهر دجلة
نهر الفرات
قبرص
البحر المتوسط
جزيرة كريت

### ج ـ الجبهة الغربية:

وصل المسلمون في فتوحاتهم إلى شمالي إسبانية، وقد وجدوا مقاومةً في الشمال الغربي حيث الجبال والمرتفعات، والمسالك الوعرة، والحصون المنيعة، وفي الوقت نفسه فقد وجدوا بلاد الفرنجة أمامهم، وفي جبال البرانس ممرات يمكن اجتيازها، وتؤدّي إلى مناطق سهلية في منطقة سبتمانية فالفتح سهل، والاستقرار ميسور، والأزواد متوفّرة، والعمل للدعوة واجب، وأن أهالي شمالي إسبانية يعدّون الفرنجة ظهيراً لهم ضد المسلمين، ومن هنا رأى المسلمون ساحة القتال واحدة في إسبانية وبلاد الفرنجة (فرنسا) لذا فقد اجتاز المسلمون جبال البرانس، ودخلوا سبتمانيا، ووصل موسى بن نصير إلى قرقشونة (كاركسونة)، ووجد سهولةً في التقدم في أرض الفرنجة، ووجد أقواتاً وفيرةً، وربما فكّر في متابعة السير في أوربا للوصول إلى القسطنطينية، وفتحها من جهة الغرب والتوجه منها إلى الشام، وربما هذا ما كان من سببٍ في استدعاء أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك لموسى بن نصير من الأندلس إلى دمشق، فقد قارب الثمانين والجهاد في مخيلته لا يزول عنها، والعمل لنشر الإسلام قائم في فكره لا يتزحزح

عنه. لذا خشي الوليد من وقوع المسلمين في ورطةٍ في البلدان البعيدة بين الأعداء، وهناك صعوبة في تزويدهم، وإمدادهم، ونجدتهم.

استدعى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك قائده موسى بن نصير لترك الأندلس والقدوم إلى دمشق، فامتثل.

غادر موسى بن نصير الأندلس، واستخلف مكانه فيها ولده عبد العزيز بن موسى، وسار إلى دمشق، ومعه طارق بن زياد فوصل إليها، والخليفة الوليد لا يزال على قيد الحياة.

سار عبد العزيز بن موسى على خطة أبيه، فدخل بجيشه بلاد الفرنجة، وفتح عدداً من المدن، منها: ناربونة، وقرقشونة، وبيزية، ومونبلية، ونيم، وآرل، واستقرّ المسلمون في هذه المنطقة التي تُعرف باسم «سبتمانية».

**وقفة تأمل:**

رأينا أن بعض المواقع قد فتحها المسلمون أكثر من مرةٍ كجرجان على سبيل المثال، وبعد كل فتحٍ ما تنقضي سوى مدةٍ قصيرةٍ حتى ينقض أهلها العهد، ويمتنعون عن


المحيط الأطلسي
بلاد الفرنجة
«فرنسا»
نهر الرون
البروفانس
نيم
آرل
مونبلية
سبتمانية
بيزية
ناربون
قرقشونة
«كاركسون»
جبال البرانس
البحر المتوسط
اسبانية
برشلونة

الدفع، ويغدرون بالمسلمين، وإن استطاعوا فتكوا بمن تطاله أيديهم، فما هي الأسباب يا ترى؟

١ ـ لا يصح الانسياح في بلاد الأعداء والتوغّل في الأعماق قبل تطهير ما فُتح، وإرساء دعائم الحكم الإسلامي فيها، وهذا يكون بثلاثة أمور:

أ ـ تطهير ما فُتح من الشرك، إذ لا يصحّ وجود مشركين في الأمصار التي يحكمها المسلمون ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾[1].

ب ـ تطهير ما فُتح من البلدان من الظلم إذ لا يصحّ قيام ظلم في الأمصار التي يحكمها المسلمون.

جـ ـ أن يكون من يدفع الجزية من أهل الكتاب ومن يلحق بهم من المجوس في حالة صَغارٍ تماماً، وإن كره ذلك المرجفون والمتزلّفون وحاولوا تبديل كلام الله ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا

---

(١) سورة التوبة: الآية ٥.

﴿يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[١]. فإن لم يكونوا ملتزمين بعهد الذمة تماماً، وعندهم صغار وذلّة تحركت النفوس اللئيمة ودفعتهم الأيدي الخبيثة فكان نقض العهد، والغدر، وهذا ما كان يحدث.

كان الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ينهى عن الانسياح والاقتصار على ما يفتحه المسلمون في المعارك الأولى، غير أنه حدثت انتفاضات متكررة من الفرس بتحريضٍ من ملكهم يزدجرد الذي بقي ينتقل في أرضه من منطقةٍ إلى أخرى يستحث الهمم، ويُعطي الوعود والأماني وهذا ما شجع الهرمزان ودفعه إلى الانتفاض، ونقض الصلح، وأعلن الغدر، فسار إليه المسلمون بقيادة ابن عمة رسول الله، ﷺ، أبي سبرة بن أبي رهم، ففتح الأهواز ثانيةً، وأسر الهرمزان وأرسله إلى الخليفة الفاروق، ومعه أنس بن مالك والأحنف بن قيس، فسأل عمر، رضي الله عنه، الوفد قائلًا: «لعلّ المسلمين يُؤذون أهل الذمة، فلهذا ينتفضون بكم». وكان

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

يُشير إلى انتفاض الهرمزان بعد الصلح الذي عقده مع المسلمين، فقال الأحنف: «يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا بالاقتصار على ما في أيدينا، وإن ملك فارس حيّ بين أظهرهم، ولا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان فاتفقا، حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيءٍ إلا بانبعاثهم، وإن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم، حتى نزيله عن فارس، ونخرجه من مملكته، وعزّ أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربوا جأشاً». فقال عمر: «صدقتني والله، وشرحت لي الأمر عن حقٍّ» وأذن في الانسياح بأرض فارس[1].

بعد معركة نهاوند سنة إحدى وعشرين تقدّمت ستة جيوشٍ فأزالت دولة فارس من جذورها بل وانساحت في أجزاء من بلاد الترك، ولكن إن خمد الفرس، وثبت فيهم الإسلام، إلا أن الانتقاض أخذ يظهر من جديدٍ لدى الترك، وقد أعطينا مثلاً بمدينة جرجان، وذلك لأنه لم تثبت الدعائم فيما قبلها، وما جاورها.

وكذا كانت نتائج الانسياح في عددٍ من المناطق،

---

(١) تاريخ الطبري.

ففي الأندلس لم تطهّر تماماً المنطقة الشمالية الغربية من شبه جزيرة إيبرية إذ بقيت جيوب وحصون، وبقيت النصرانية معشعشةً في بعض الجبال ومنها انبثق الخطر على المسلمين فيما بعد.

وخاف الوليد من انسياح موسى بن نصير في بلاد الفرنجة (فرنسا)، فاستدعاه قبل أن يتوغّل في الأعماق، وخاصةً أنه كان قد استشاره في متابعة السير نحو القسطنطينية فخاف الخليفة على المسلمين فاستقدمه.

وما بقي من جزرٍ غير مسلمةٍ بالجبال في بلاد الشام كانت شوكةً في المستقبل سواء أكانوا المردة أم الجُراجمة.

٢ ـ لا يصحّ أن تكون الأرباح هدفاً: وقد رأينا أن المسلمين يأخذون في عهود الصلح كمياتٍ من الأموال، وأعداداً من السبي يصعب إحصاؤها أحياناً، وهذا إن أفاد المسلمين من جهةٍ وهي العمل، والخدمة، والمال فإنه من جهةٍ أخرى قد جعل بعضهم من يميل إلى الراحة ويخلد إلى الأرض، وهذا بداية الوهن، وأول الضعف وهذا ما حدث.

## الفصل الرابع

# شخصية سليمان

● كان ديِّناً، فصيحاً، مُفوَّهاً، عادلاً، محبّاً للغزو، يقال: نشأ بالبادية، مات بذات الجَنْب، ونقش خاتمه: أؤمن بالله مخلصاً[١].

● روى الحديث عن أبيه، عن جده، عن عائشة أم المؤمنين ـ في قصة الإفك. رواه ابن عساكر عن طريق ابنه عبد الواحد بن سليمان[٢].

● وفي أيامه جُدّدت المقصورة، واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً، وقال له: إنا كنا قد وُلّينا ما ترى وليس لنا علم بتدبيره، فما رأيتَ من مصلحة العامة فمُر به فليكتب، وكان من ذلك عزل نواب الحجاج، وإخراج أهل السجون منها، وبذل

---

(١) سير أعلام النبلاء ـ الذهبي.

(٢) البداية والنهاية.

الأعطية بالعراق، وردّ الصلاة إلى ميقاتها الأول، بعد أن كانوا يُؤخّرونها إلى آخر وقتها، مع أمور حسنها كان يسمعها من عمر بن عبد العزيز[1].

● قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي، عن جابر بن عون الأسدي قال: أول كلام تكلّم به سليمان بن عبد الملك - حين ولي الخلافة - أن قال: الحمد لله الذي ما شاء صنع، ومن شاء رفع، وما شاء وضع، ومن شاء أعطى، ومن شاء منع، إن الدنيا دار غرورٍ، ومنزل باطلٍ، وزينة تقلّبٍ، تُضحك باكياً، وتُبكي ضاحكاً، وتُخيف آمناً، وتؤمِّن خائفاً، تُفقر مثريها، وتُثري فقيرها، ميالة لاعبة بأهلها. يا عباد الله! اتخذوا كتاب الله إماماً وارضوا به حكماً، واجعلوه لكم قائداً؛ فإنه ناسخ لما قبله، ولن ينسخه كتاب بعده، اعلموا - عباد الله - أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه، كما يجلو ضوء الصبح - إذا تنفّس - أدبار الليل إذا عسعس.

● وقال يحيى بن معين، عن حجاج بن محمد، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس قال: سمعت

---

(١) المصدر السابق نفسه.

سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته: فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

● وقال حماد بن يزيد، عن زيد بن حازم قال: كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعةٍ، لا يدع أن يقول في خطبته: وإنما أهل الدنيا على رحيل، لم تمض لهم نية، ولا تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله ووعده، وهم على ذلك، كذلك لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، ولا تبقي من شرّ أهلها، ثم يتلو ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾[1]

● وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان كان: آمنت بالله مخلصاً.

● وقال أبو مسهر، عن أبي مسلم سلمة بن العيّار الفزاري قال: كان محمد بن سيرين يترحّم على سليمان بن عبد الملك، ويقول: افتتح خلافته بخيرٍ، وختمها بخيرٍ، افتتحها بإجابة الصلاة لمواقيتها، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز.

● وقد أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حجّ

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

بالناس في سنة سبع وتسعين، وهو خليفة. قال الهيثم بن عدي: قالَ الشعبي: حج سليمان بن عبد الملك، فلما رأى الناس بالموسم، قال لعمر بن عبد العزيز: ألا ترى هذا الخلق الذي لا يُحصي عددهم إلا الله، ولا يسع رزقهم غيره، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء رعيتك اليوم، وهم غداً خصماؤك عند الله، فبكى سليمان بكاءً شديداً، ثم قال: بالله أستعين.

● وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدّثنا جرير، عن عطاء بن السائب، قال: كان عمر بن عبد العزيز في سفرٍ مع سليمان بن عبد الملك فأصابتهم السماء برعدٍ، وبرقٍ، وظلمةٍ، وريحٍ شديدةٍ، حتى فزعوا لذلك، وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك، فقال له سليمان: ما يضحكك يا عمر؟ أما ترى ما نحن فيه؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، هذه آثار رحمته فيها شدائد ما ترى، فكيف بآثار سخطه وغضبه؟.

● ومن كلامه الحسن، رحمه الله، قوله: الصمت منام العقل والنطق يقظته، ولا يتم هذا إلا بهذا. ودخل عليه رجل فكلّمه، فأعجبه منطقه، ثم فتشه فلم يحمد عقله، فقال: فضل منطق الرجل على عقله خدعة،

وفضل عقله على منطقه هجنة، وخير ذلك ما أشبه بعضه بعضاً.

● وقال: العاقل أحرص على إقامة لسانه منه على طلب معاشه.

● وقال أيضاً: إن من تكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيُحسن، وليس كل من سكت فأحسن ـ قادراً على أن يتكلم فيُحسن.

● ومن شعره يتسلّى عن صديق له مات، فقال:

وهوّن وجدي في شراحيل أنني
متى شئت لاقيت امرأً مات صاحبه

● ومن شعره أيضاً:

ومن شيمي ألا أفارق صاحبي
وإن ملّني إلا سألت له رشدا
وإن دام لي بالود دمت ولم أكن
كآخر لا يرعى ذماما ولا عهدا

● وسمع سليمان ليلةً صوت غناءٍ في معسكره، فلم يزل يفحص حتى أتى بهم، فقال سليمان: إن الفَرس

ليصهل فتستودق[1] له الرَّمَكة[2]، وإن الجمل ليهتدر فتضبع له الناقة، وإن التيس لينيب[3] فتستخذي له العنز، وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة. ثم أمر بهم، فقال: اخصوهم، فيقال: إن عمر بن عبد العزيز قال: يا أمير المؤمنين، إنها مُثلة، ولكن انفهم، فنفاهم. وفي روايةٍ: أنه خصى أحدهم، ثم سأل عن أصل الغناء، فقيل: إنه بالمدينة. فكتب إلى عامله بها - وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - يأمره أن يخصي من عنده من المغنين المخنثين[4][5].

● حُدِّثتُ عن علي بن محمدٍ قال: كان الناس يقولون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجاج، فولي سليمان، فأطلق الأسارى، وخلّى أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز فقال ابن بيض:

---

(١) تستودق: تخضع له وتريده.
(٢) الرمكة: أنثى الخيل.
(٣) ينيب: يصيح عند الهياج.
(٤) لم يفعل ولكن لينتشر الخبر فيخاف أولئك فيتركون ما هم عليه، فيكون قد ردعهم وأخافهم.
(٥) البداية والنهاية.

حـاز الـخـلافـة والـداك كـلاهـمـا
من بين سخطة ساخطٍ أو طائع
أبـواك ثـم أخـوك أصـبـح ثـالـثـاً
وعـلـى جـبـينك نـور مُـلـك الـرابـع

● وقال عليّ: قال المفضّل بن المهلّب: دخلت على سليمان بدابق يوم جمعةٍ، فدعا بثيابٍ فلبسها، فلم تعجبه، فدعا بغيرها بثيابٍ خضرٍ سوسيةٍ بعث بها يزيد بن المهلّب فلبسها واعتمّ وقال: يا ابن المهلب أعجبتك؟ قلت: نعم، فحسر عن ذراعيه ثم قال: أنا الملك الفتى. فصلّى الجمعة، ثم لم يُجمّع بعدها، وكتب وصيته، ودعا ابن أبي نعيم صاحب الخاتم فختمه.

● قال عليّ: قال بعض أهل العلم: إن سليمان لبس يوماً حُلّةً خضراء، وعمامةً خضراء، ونظر في المرآة، فقال: أنا الملك الفتى، فما عاش بعد ذلك إلا أسبوعاً[1].

● وحُدّثت عن أبي عبيدة، عن رؤبة بن العجاج قال: حجّ سليمان بن عبد الملك، وحج الشعراء معه،

---

(١) تاريخ الطبري.

وحججت معهم، فلما كان بالمدينة راجعاً تلقوه بنحوٍ من أربعمائة أسيرٍ من الروم، فقعد سليمان، وأقربهم منه مجلساً عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقدّم بطريقهم فقال: يا عبد الله اضرب عنقه، فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع إليه حرسيّ سيفه فضربه فأبان الرأس، وأطنّ الساعد وبعض الغلّ، فقال سليمان: أما والله ما من جودة السيف جادت الضربة، ولكن لحسبه. وجعل يدفع البقية إلى الوجوه وإلى الناس يقتلونهم حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم، فدسّت إليه بنو عبسٍ سيفاً في قرابٍ أبيض، فضربه فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فلم يجد سيفاً، فدسوا إليه سيفاً ددانا[1] مثنياً لا يقطع فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً فضحك سليمان والقوم، وشمت بالفرزدق بنو عبسٍ أخوال سليمان، فألقى السيف، وأنشأ يقول، ويعتذر إلى سليمان، ويأتسي بنبو سيف ورقاء عن رأس خالد.

إن يك سيف خان أو قدر أتى

بتأخير نفسٍ حتفها غير شاهد

---

(١) ددانا: متعباً.

فسيف بني عبسٍ وقد ضربوا به
نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها
وتقطع أحياناً مناط القلائد[1]

وقال الفرزدق في مقامه ذلك:

أيعجب الناس أن أضحكت خيرهم
خليفة الله يستسقى به المطر
فما نبا السيف عن جبنٍ ولا دهشٍ
عند الإمام ولكن أخّر القدر
ولو ضربت على عمرو مقلّده
لخرّ جثمانه ما فوقه شعر
وما يُعَجِّل نفساً قبل ميتتها
جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

وقال جرير في ذلك:

---

(١) ورقاء: هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب، وخالد مكبّ على أبيه زهير قد ضربه بالسيف وصرعه، فأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالداً فلم يصنع شيئاً فقال ورقاء بن زهير:

رأيت زهيراً تحت كلكل خالدٍ فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
فشلّت يميني يوم ضرب خالداً ويحصنه مني الحديد المظاهر

بسيف أبي رغوان سيف مجاشعٍ
ضربتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام فأرعشت
يداك، وقالوا مُحَدث غير صارم

● حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن عيينة، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد العزيز بن الضحاك بن قيس، قال: شهد سليمان بن عبد الملك جَنازةً بدابق، فدُفنت في حقلٍ، فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة فيقول: ما أحسن هذه التربة! ما أطيبها! فما أتى عليه جمعة ـ أو كما قال ـ حتى دُفن إلى جانب ذلك القبر[1].

● وكان سليمان بن عبد الملك طويلاً، جميلاً، أبيض، نحيفاً، حسن الوجه، مقرون الحاجبين، وكان فصيحاً، بليغاً، يحسن العربية، ويرجع إلى دينٍ، وخيرٍ، ومحبةٍ للحق وأهله، واتباع القرآن والسنة، وإظهار الشرائع الإسلامية ـ رحمه الله ـ. وقد كان رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق، ودابق

---

(١) تاريخ الطبري.

قريبة من بلاد حلب، لمّا جهّز الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية ـ أن لا يرجع إلى دمشق حتى تُفتح أو يموت، فمات هنالك ـ كما ذكرنا ـ فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله، فهو ـ إن شاء الله ـ ممن يجري له ثوابه إلى يوم القيامة ـ رحمه الله[1] ـ.

● وكان سليمان أكولاً محباً للطعام، ولكن ليس بالمبالغة التي تحدّث بها الخصوم.

● أُدخل على سليمان يزيد بن أبي مسلم الثقفي كاتب الحجاج والمستولي عليه، أُدخل مُكبّلاً بالحديد، فلما رآه ازدراه فقال: ما رأيت كاليوم قط قبّح الله رجلاً أجّرك رَسنه وحكّمك في أمره، فقال يزيد: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنك رأيتني والأمر عني مُدبر، وعليك مُقبل، ولو رأيتني والأمر عليّ مُقبل لاستعظمت مني ما استصغرت ولاستجللت مني ما استحقرت، قال: صدقت فاجلس لا أُمّ لك؛ فلما استقرّ به المجلس قال له سليمان: عزمت عليك لتخبرني عن الحجاج، ما ظنّك به؟ أتراه يهوي بعد في جهنم أم قد استقرّ فيها؟ قال: يا أمير المؤمنين لا تقل هذا في الحجاج فقد بذل لكم

---

(١) البداية والنهاية.

نصحه، وأحقن دونكم دمه، وأمّن وليّكم، وأخاف عدوّكم، وإنه يوم القيامة لعن يمين أبيك عبد الملك ويسار أخيك الوليد؛ فاجعله حيث شئت. فصاح سليمان: أخرج عني إلى.... ثم التفت إلى جلسائه فقال: قبّحه الله ما كان أحسن تربيته لنفسه ولصاحبه ولقد أحسن المكافأة؛ أطلقوا سبيله.

● ودخل عليه أبو حازم الأعرج[1] فقال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمّرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم، فأنتم تكرهون النقل من العمران إلى الخراب. قال: فأخبرني كيف القدوم على الله؟ قال: فأما المحسن فكالغائب يأتي أهله مسروراً، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه محزوناً. قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض واجتناب المحارم. قال: فأي القول أعدل؟ قال: كلمة حقٍّ عند من تخاف وترجو.

---

(١) أبو حازم الأعرج: سلمة بن دينار: الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، التمّار، القاصّ، الزاهد، مولى بني مخزوم، وقيل: مولى بني ليث: ولد في أيام ابن الزبير، وتوفي سنة أربعين ومائة أيام المنصور، كان أعرج أفزر (أحدب). روى عن سهل بن سعد. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما رأيت أحداً، الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم. أصله فارسي، وأمه رومية.

قال: فأي الناس أعقل؟ قال: من عمل بطاعة الله. قال: فأي الناس أجهل؟ قال: من باع آخرته بدنيا غيره. قال: عظني وأوجز. قال: يا أمير المؤمنين، نزّه ربك وعظّمه، وإياك أن يراك بحيث نهاك عنه ويفقدك من حيث أمرك به. فبكى سليمان بكاءً شديداً؛ فقال له بعض جلسائه: أسرفتَ ويحك على أمير المؤمنين. فقال أبو حازم: اسكت فإن الله أخذ الميثاق على العلماء لَيُبيّنُنّه للناس ولا يكتمونه، ثم خرج؛ فلما صار إلى منزله بعث إليه سليمان بمال فردّه، وقال للرسول: قل له: والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي؟

● دخل أعرابي على سليمان فقال له: يا أمير المؤمنين أريد أن أكلمك بكلام فافهمه، فقال له سليمان: إنا نجود بسعة الاحتمالَ على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشّه، ونرجو أن يكون الناصح جيبا المأمون غيبا فهات، فقال: يا أمير المؤمنين أما إذا أمنت بادرة غضبك فسأطلق لساني بما خرست به الألسن من عظتك تأديةً لحق الله وحق إمامتك، يا أمير المؤمنين، إنه قد تكنّفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله، ولم يخافوا الله فيك، حرب للآخرة، وسلم للدنيا فلا

تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لم ينالوا للأمانة تضييعاً، وللأمة خسفاً وعسفاً فأنت مسؤول عما اجترموا وليسوا مسؤولين عما اجترمت؛ فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره. فقال له سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سللت علينا لسانك وهو أقطع من سيفك. فقال: أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك. فقال سليمان: أما وأبيك يا أعرابي فلا تزال العرب بسلطاننا لأكناف العزّ مستوليةً، ولا تزال أيام دولتنا بكل خيرٍ مقبلةً، ولئن ساستكم ولاة غيرنا لأصبحتم تحمدون منا ما كنتم تذمّون. فقال الأعرابي: أما إذا رجع الأمر إلى ولد العباس عمّ الرسول، وصنو أبيه، ووارث ما جعله الله أهلاً له فلا. فتغافل سليمان كأن لم يسمع شيئاً من ذلك، وخرج الأعرابي وكان آخر العهد به.

● وذُكِر معاوية بن أبي سفيان في مجلس سليمان، فصلى على روحه وأرواح من سلف من آبائه، وقال: كان والله هزله جدّاً، وجدّه علماً، والله ما رؤي مثل معاوية، كان والله غضبه حلماً، وحِلمه حكماً.

● وكتب سليمان إلى خالد بن عبد الله القسري وهو على الحجاز في رجلٍ من قريشٍ استجار به، وكان

هرب من خالد، ألا يتعرّض له، فأتاه بالكتاب فلم يفضّه
حتى ضربه مائة سوطٍ، ثم قرأه فقال: هذه نقمة أراد الله
أن ينتقم بها منك لتركي قراءة الكتاب، ولو كنت قرأته
قبله لأنفذت ما فيه، فخرج القرشيّ راجعاً إلى سليمان،
فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد
فأخبرهم، فقال الفرزدق في ذلك:

سلوا خالداً لا قدّس الله خالداً
متى وُلّيت قسرٌ قريشاً تدينها
أَقَبْلَ رسول الله أم بعد عَهْدِهِ
فأضحت قريش قد أغثّ سمينها
رجونا هداه لا هدى الله سعيه
وما أُمّه بالأم يُهدى جنينها

فبلغ ذلك سليمان، فوجّه إلى خالد من ضربه مائة
سوطٍ فقال في ذلك الفرزدق:

لعمري لقد صُبّت على ظهر خالدٍ
شآبيب ليست من سحاب ولا قطر
أتضرب في العصيان من ليس عاصياً
وتعصي أمير المؤمنين أخا قسر
فلولا يزيد بن المهلب حلّقت
بكفّك فتخاء إلى الفرخ في الوكر

لعمري لقد سار ابن شيبة سيرةً

أرتك نجوم الليل مظهرةً تجري

● وغضب سليمان على خالد القسري، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين إن القدرة تذهب الحفيظة، وإنك تجلّ عن العقوبة؛ فإن تعف فأهل ذلك أنت، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا، فعفا عنه.

● ذمّ رجل في مجلس سليمان الكلام، فقال سليمان: إنه من تكلم فأحسن قدر على أن يصمت فيحسن، وليس من صمت فأحسن قدر على أن يتكلم فيحسن.

● وقال سليمان يوماً لعمر بن عبد العزيز، وقد أعجبه سلطانه: كيف ترى ما نحن فيه؟ فقال عمر: سرور لولا أنه غرور، وحسن لولا أنه عَدم، وملك لولا أنه هلك، وحياة لولا أنه موت، ونعيم لولا أنه عذاب أليم. فبكى سليمان من كلامه.

# الفصل الخامس

## ولاية العهد ووفاة سليمان

بويع سليمان بناءً على عهد أبيه لولديه الوليد وسليمان، فلمّا توفي الوليد، ولم تتحقّق رغبته في خلع أخيه والعهد لابنه عبد العزيز بن الوليد من بعده فبويع سليمان، ولم يكن لسليمان عهد لأحدٍ من بعده فالرأي له أن يترك الأمر لأهل الحلّ والعقد من المسلمين أو أن يستخلف ولذا لم تكن هناك مشكلات ما دام لا يوجد ولياً للعهد كما حدث في أواخر عهدي أبيه وأخيه. ولكن كان أسلوب بني أمية الاستخلاف، وعلى هذا ساروا.

ذكر الفضل بن أبي المهلب أن سليمان بن عبد الملك لبس في يوم جمعةٍ حُلّةً صفراء، ثم نزعها ولبس بدلها حلةً خضراء، واعتمّ بعمامةٍ خضراء، وجلس على فراشٍ أخضر، وقد بُسط ما حوله بالخضرة، ثم نظر في المرآة، فأعجبه حسنه، وشمّر عن ذراعيه، وقال: أنا

الخليفة الشاب. وقيل: إنه كان ينظر في المرآة من فَرقه إلى قدمه، ويقول: أنا الملك الشاب. وفي روايةٍ: أنه كان ينظر فيها ويقول: كان محمد نبيّاً، وكان أبو بكر صِدِّيقاً، وكان عمر فاروقاً، وكان عثمان حيياً، وكان عليّ شجاعاً، وكان معاوية حليماً، وكان يزيد صبوراً، وكان عبد الملك سائساً، وكان الوليد جباراً، وأنا الملك الشاب. قالوا: فما حال عليه بعد ذلك شهر - وفي روايةٍ جمعة - حتى مات. قالوا: ولما حُمّ شرع يتوضأ، فدعا بجاريةٍ، فصبّت عليه ماء الوضوء، ثم أنشدته:

أنت نِعم المتاع لو كنت تبقى
غير أنْ لا بقاء للإنسان
أنت خلو من العيوب ومما
يكره الناس غير أنك فان

قالوا: فصاح بها، وقال: عزّتني في نفسي. ثم أمر خاله الوليد بن العباس القعقاع العبسيّ أن يصبّ عليه، وقال:

قرّب وضوءك يا وليد فإنما
دنياك هذه بُلغة ومتاع
فاعمل لنفسك في حياتك صالحاً
فالدهر فيه فرقة وجماع

ويروى أن الجارية لما جاءته بالطست جعلت تضطرب من الحُمّى، فقال: أين فلانة؟ فقالت: محمومة، قال: ففلانة؟ قالت: محمومة. وكان بمرج دابق من أرض قنّسرين، فأمر خاله فوضّأه، ثم خرج يصلّي بالناس، فأخذته بُحّة في الخُطبة، ثم نزل وقد أصابته الحُمّى، فمات في الجمعة المقبلة. ويقال: إنه أصابته ذات الجنب، فمات ـ رحمه الله ـ.

وكان قد أقسم أنه لا يبرح مرج دابق حتى يرجع إليه الخبر بفتح القسطنطينية، أو يموت قبل ذلك، فمات قبل ذلك ـ رحمه الله وأكرم مثواه ـ، وجعل يلهج في مرضه ويقول:

إن بـنـيّ فـتـيـة صـغـار
أفـلـح مـن كـان لـه كـبـار

فيقول له عمر بن عبد العزيز: قد أفلح المؤمنون، يا أمير المؤمنين، ثم يقول:

إن بـنـي صـبـيـة صـيـفـيـون
قـد أفـلـح مـن كـان لـه ربـيـعـيـون

ويروى أن هذا آخر ما تكلّم به. والصحيح آن آخر

ما تكلّم به أن قال: اللهم إني أسألك منقلباً كريماً، ثم قضى[1].

قال محمد بن عمر: حدثني داود بن خالد بن دينار، عن سهيل بن أبي سهيل قال: سمعت رجاء بن حَيْوة يقول: لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خزٍّ، ونظر في المرآة، فقال: أنا والله الملك الشاب. فخرج إلى الصلاة فصلى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقل عهد في كتابٍ كتبه لبعض بنيه، وهو غلام ولم يبلغ، فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين، إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح. فقال سليمان: أنا أستخير الله وأنظر فيه. ولم أعزم عليه؛ قال: فمكث يوماً أو يومين، ثم خرّقه فدعاني. فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ قلت: هو غائب عنك بقسطنطينية، وأنت لا تدري أحيّ هو أم ميت! فقال لي: فمن ترى؟ قلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أن أنظر من يذكر، قال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله خيّراً فاضلاً مسلماً، فقال: هو والله على

(١) البداية والنهاية.

ذلك، ثم قال: والله لئن ولّيته ولم أُوَلّ أحداً سواه لتكونن فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده. ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم. قال: فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنهم، ويرضون به؛ قلت: رأيك. قال: فكتب. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك؛ فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمع فيكم.

وختم الكتاب، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب شُرَطه، فقال: مر أهل بيتي فليجتمعوا؛ فأرسل كعب إليهم أن يجتمعوا، فاجتمعوا، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم: اذهب بكتابي هذا إليهم، فأخبرهم أن هذا كتابي، فأمرهم فليبايعوا من ولّيت فيه، ففعل رجاء، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا: ندخل فنسلّم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم؛ فدخلوا، فقال لهم سليمان في هذا الكتاب - وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حيوة - عهدي فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب. فبايعوه رجلاً رجلاً، ثم

خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء بن حيوة.

قال رجاء: فلما تفرّقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أخشى أن يكون هذا أسند إليّ شيئاً من الأمر، فأُنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة! قال رجاء: لا والله ما أنا بمخبرك حرفاً، قال: فذهب عمر غضبان.

قال رجاء: لقيني هشام بن عبد الملك، فقال: يا رجاء إن لي بك حرمةً ومودةً قديمةً، وعندي شكر، فأعلمني هذا الأمر، فإن كان إليّ علمتُ، وإن كان إلى غيري تكلمت، فليس مثلي قصّر به، فأعلمني فلك الله عليّ ألا أذكر من ذلك شيئاً أبداً. قال رجاء: فأبيت فقلت: والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أُسرّ إليّ.

قال: فانصرف هشام وهو قد يئس، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول: فإلى مَنْ إذا نُحّيتُ عنّي؟ أتخرج من بني عبد الملك؟ قال رجاء: ودخلت على سليمان فإذا هو يموت، فجعلت إذا أخذته السكرة من سكرات الموت حرّفته إلى القبلة، فجعل يقول حين يُفيق: لم يأن لذلك بعد يا رجاء، ففعلت ذلك مرتين، فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً أشهد أن لا

إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فحرّفته ومات؛ فلما غمّضته سجّيته بقطيفةٍ خضراء، وأغلقت الباب. وأرسلت إليّ زوجته تقول: كيف أصبح؟ فقلت: نائم، وقد تغطّى، فنظر الرسول إليه مغطّىً بالقطيفة، فرجع فأخبرها فقبلت ذلك، وظنّت أنه نائم، قال رجاء: وأجلست على الباب من أثق به، وأوصيته ألا يبرح حتى آتيه، ولا يدخل على الخليفة أحد.

قال: فخرجت فأرسلت إلى كعب بن حامد العبسيّ، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في مسجد دابق، فقلت: بايعوا، فقالوا: قد بايعنا مرةً ونبايع أخرى! قلت: هذا عهد أمير المؤمنين، فبايعوا على ما أمر به، ومن سمّى في هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً. قال رجاء: فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أني قد أحكمت الأمر، قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون! وقرأت الكتاب عليهم، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك: لا نبايعه أبداً، قلت: أضرب والله عنقك قم فبايع، فقام يجرّ رجليه.

ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز، وهو في مؤخر المسجد، فلما تحقّق ذلك قال: إنا لله وإنا إليه

راجعون. ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه، فأصعدوه على المنبر، فسكت حيناً، فقال رجاء بن حيوة: ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فتبايعوه، فنهض القوم فبايعوه، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايع وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال عمر: نعم إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت نتنازع هذا الأمر.

قال رجاء: وأخذت بضَبْعَيْ عمر بن عبد العزيز فأجلسته لما وقع فيه، وهشام يسترجع على المنبر، وهو يسترجع لما أخطأه، فلما انتهى هشام إلى عمر، قال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، حين صارت إليّ لكراهته إياها، والآخر يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، حيث نُحِّيَتْ عنه.

قال: وغُسّل سليمان وكُفِّن وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز. قال رجاء: فلما فُرِغَ من دفنه أُتي بمراكب الخلافة: البراذين، والخيل، والبغال، ولكل دابةٍ سائس، فقال: ما هذا؟ قالوا: مركب الخلافة، قال: دابتي أوفق لي، وركب دابته، قال: فصُرفت تلك الدواب، وأقبل سائراً، فقيل: منزل الخلافة، فقال: فيه عيال أبي أيوب، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحوّلوا، فأقام في منزله حتى فرّغوه بعدُ. قال رجاء: فلما كان المساء من ذلك اليوم

قال: يا رجاء، ادع لي كاتباً، فدعوته وقد رأيت منه كل ما سّرني، صنع في المراكب ما صنع، وفي منزل سليمان، فقلت: كيف يصنع الآن في الكتاب؟ أيصنع نُسخاً، أم ماذا؟ فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نُسخة، فأملى أحسن إملاء وأبلغه وأوجزه، ثم أمر بذلك الكتاب أن ينسخ إلى كل بلدٍ.

وبلغ عبد العزيز بن الوليد ـ وكان غائباً ـ موت سليمان بن عبد الملك، ولم يعلم ببيعة الناس عمر بن عبد العزيز، وعهد سليمان إلى عمر، فعقد لواءً ودعا لنفسه، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك، وأردت دخول دمشق، فقال: قد كان ذاك. وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان لم يكن عقد لأحدٍ، فخفت على الأموال أن تُنتهب. فقال عمر: لو بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك، ولقعدت في بيتي، فقال عبد العزيز: ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك، وبايع عمر بن عبد العزيز. قال: فكان يرجى لسليمان بتولية عمر بن عبد العزيز وترك ولده[١].

---

(١) تاريخ الطبري.

توفي سليمان بن عبد الملك ـ رحمه الله ـ لعشر ليالٍ مضين من صفر سنة تسعٍ وتسعين، فكانت خلافته سنتين وسبعة أشهرٍ، وقيل: سنتينَ وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وكان سليمان قد بايع لابنه أيوب غير أن أيوب قد توفي سنة ثمانٍ وتسعين، وهو ولي عهد أبيه. حدثني عمر بن شيبة، عن عليّ بن محمد قال: كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابني عاتكة (يزيد) ولمروان بن عبد الملك من بعده، قال: فحدثني طارق بن المبارك، قال: مات مروان بن عبد الملك في خلافة سليمان منصرفه من مكة، فبايع سليمان حين مات مروان لأيوب، وأمسك عن يزيد، وتربّص به، ورجا أن يهلك، فهلك أيوب، وهو ولي عهده.

ولما دفن سُليمان سُمع بعض كُتّابه وهو يقول أبياتاً منها:

وما سالم عما قليل بسالم
وإن كثرت أحراسه وكتائبه
ومن يك ذا بابٍ شديدٍ ومنعةٍ
فعما قليلٍ يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد الحجب للناس مفضيا
رهينة بابٍ لم تستر جوانبه

فما كان إلا الدفن حتى تفرّقت
إلى غيره أحراسه ومواكبه
فأصبح مسروراً به كلّ كاشحٍ
وأسلمهُ أحبابه وأقاربه
فنفسك أكسبها السعادة جاهداً
فكل امرئٍ رهن بما هو كاسبه

وقيل: قام عمر فخطب الناس خطبةً بليغةً، وبايعوه، فكان مما قال في خطبته: أيها الناس، إني لست بمبتدع، ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إنْ أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوالٍ، ثم نزل. فأخذوا في جهاز سليمان، فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب، فصلى عمر بالناس صلاة المغرب، ثم صلى على سليمان، ودفن بعد المغرب[1].

---

(١) البداية والنهاية.

# الخاتمة

تبيّن مما قرأنا أن سليمان بن عبد الملك كان أقرب إلى الصلاح منه إلى غيره، وأدنى إلى الخير منه إلى سواه، ويسعى إلى الحق أكثر من سعيه إلى ما عداه. وإن كانت خلافته لا تخلو من هنات، وحياته لا تخلو من العثرات، وهذه صفات البشر، غير أنها عنده قليلة إذ ما قيس مع الملوك الطغاة، ولكنه كخليفة كان يمثّل الإسلام الذي يحكمه به ويمثّل المسلمين الذين أعطوه البيعة لذا لا يمكن أن ينجو من طعنات الأعداء، ومن توجيه السهام إليه من الخصوم، ومن الافتراءات عليه والإشاعات ضده من قبل المرجفين والذين في قلوبهم مرض.

وقلنا: إنهم قد وجدوا عنده رغبة للطعام فبالغوا بالأمر، وغالوا بالكلام حتى ليعرف كل صاحب فكرٍ أن في كلامهم كذباً يشير إلى ما في قلوبهم من أحقاد على الأمة التي هو منها، والجماعة التي يمثلها، والنظام الذي يتبنّاه.

قالوا: دخل أعرابي على سليمان، فدعاه إلى أكل الفالوذج، وقال له: إن أكلها يزيد في الدماغ، فقال: لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل رأس البغل.

وقالوا: اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية، وأربعٍ وثمانين كلوة بشحمها، وثمانين جردقة (رغيف) ثم أكَل مع الناس على العادة في السماط العام.

وقالوا: دخل ذات يومٍ بستاناً له، وكان قد أمر قيّمه أن يجني ثماره، فدخله ومعه أصحابه، فأكل القوم حتى ملّوا، واستمر هو يأكل أكلاً ذريعاً من تلك الفواكه، ثم استدعى بشاةٍ مشويةٍ فأكلها، ثم أقبل على أكل الفاكهة، ثم أُتي بدجاجتين فأكلهما، ثم عاد إلى الفاكهة فأكل منها، ثم أُتي بقعب يقعد فيه الرجل - مملوءاً سويقاً وسمناً وسكراً فأكله، ثم عاد إلى دار الخلافة، وأتي بالسماط فما فقدوا من أكله شيئاً. وقد روي أنه عرضت له حمى عقب هذا الأكل أدته إلى الموت. وقد قيل: إن سبب مرضه كان من أكل أربعمائة بيضة، وسلّتين تيناً - فالله أعلم[1].

---

(١) البداية والنهاية.

والمشكلة في ذكر هذه الافتراءات أنها تصبح حديث العامة يتفكّهون بها، ولو كان هناك نقد لها، وتكذيب إلا أن العامة يحفظون النكتة، والإشاعة، والأسطورة ليتحدثوا ويضحكوا ولا يبالون بالناحية العلمية، لذا فالأفضل عدم ذكرها وإنما الإشارة لها مع توضيح الحقيقة.

وقلنا: إنه اتُّهم بقتل القادة الفاتحين الذين قادوا الجهاد في عهد أخيه الوليد بن عبد الملك، ووسّعوا ديار الإسلام، وعملوا على نشر الدعوة، وهم: قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح بلاد ما وراء النهر، ومحمد بن القاسم الثقفي فاتح السند، وموسى بن نصير اللخمي فاتح الأندلس.

وقد رأينا أن قتيبة بن مسلم قد خلع الطاعة، وتكلّم عن القبائل، فوقف جنده في ووجهه وقتلوه. وإن خلع الطاعة أمر خطير يؤدّي إل تجزئة الأمة، واختلافها، وإضعافها. فلا علاقة للخليفة سليمان بقتله، وإن كان هذا يرضيه ولا يسوءه لخلعه الطاعة.

ورأينا أن محمد بن القاسم قد عُذّب وأهين، وسجن وأذلّ لقرابته بالحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان عنده ظلم وجور، أما قتله فكان على يد صيتا بنت

داهر ملك الملتان بالسند لأن محمد بن القاسم قد قتل أباها في المعركة التي دارت رحاها بينهما، فلا علاقة للخليفة سليمان بذلك. وإن كان هذا لم يؤلم الخليفة لكراهيته للحجاج الذي سعى لخلعه من ولاية العهد.

أما موسى بن نصير فقد توفي وهو مع الخليفة سليمان نفسه في طريقهما إلى الحج سنة سبع وتسعين، وقد كان مرافقاً له ومستشاراً عنده، ورأينا كيفَ استشاره في غزو القسطنطينية. وكان عمر موسى يوم وفاته ثمانية وسبعين عاماً. فما علاقة الخليفة سليمان بذلك.

إذن كانت اتهامات قاسية للخليفة سليمان بن عبد الملك ـ رحمه الله ـ وقد شاعت بين العامة لكثرة من يرددها، ودُوّنت، فقُرئت، وحُفظت ورُدِّدت.

نرجو من الله أن نكون قد وفّقنا في إعطاء صورةٍ سليمةٍ عن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# المُحْتَوَى

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |